
علي غدير
رواية
سفاستيكا
جائزة بغداد للرواية العراقية
2016

علي غدير

سفاستيكا

الفائزة بجائزة بغداد للرواية العراقية
2016

رواية

الطبعة الأولى 2016

سطور



سفاستيكا

علي غدير

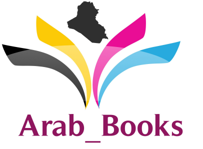
Swastika

Ali Ghadir

الطبعة الأولى 2016
الرقم الدولي
ISBN 078-9933-9194-3-6
إصدار دار سطور للنشر والتوزيع
بغداد - شارع المتنبي - مدخل جديد حسن باشا
هاتف: 07711002790 - 07905219996 - e.mail: bal_alame@yahoo.com

First Published by Dar Sutour for Publishing and Distribution
Baghdad- Iraq- Al Mutnabi street- Jadeed Hassan Basha Entry

Cover Deisgn & Lay- out by: **Sillat Media**



(فردسة)

ها أنا أصنعُ حظّي في الجحيمْ
أرسمُ الجنّةَ في قلبيَ رمزاً لانتصاريْ
وأداويْ... نزْعَ نفسيَ باصطباريْ
ويدوّيْ... فوق ظهريَ سوطُ جلاّدي الكريمْ
صابراً... كي تتلقّاني الجنانْ
سأُلَقَّاهَا بذا حَظّي العَظِيمْ



في سويداء النص
(صدّق أو لا تكذّب)

(من جَدَّ وَجَدَ)، جملة خرقاء، لقّننيها معلمي منذ نعومة أظفاري، وسبك فوقها أبي تعاليمه المشوّهة، ودججتها بخرافاتها أمي، حتى غدت ديدني في المسيرة، وعدّتي في النزال. ونسينا جميعاً أن الجّدّ هو الحظ، ولم نولِه أي اهتمام، بل نظرنا إليه بريبة، ولفقّنا عليه بعض التهم أحياناً، حتى بتُّ أنظر إلى الحظ نظرة شك، مشوبة بالخوف من الوقوع في الشِرك بالله.

أن أتخبط في مسيرتي، وأقف كل حينٍ أتلفت؛ بحثاً عن محط. وأسلك سُبلاً مطببّة مغبرّة، ثم لا أجد من ألقي عليه باللائمة، فأنسب شقائي إلى جذرٍ بعيدٍ، وأعقد الرأي أنني ولدت شقياً... فذلك ضربٌ من الظلم والجنون.

أن تلدني أمي شقياً أو سعيداً، تلك مهزلةٌ توهّمتُها؛ لأعزّي نفسي، حين أشقى أنا وتسْعَدَ أنت... أنا فقط، وليس من أحدٍ سواي، أستطيع أن أحدد لنفسي طريقاً أسلكها نحو السعادة أو الشقاء. ووحده الله يعلم، أنني سأبلغ غاية ما، بعد انقضاء العمر، ولأنه يرى تلك الغاية بغاية الوضوح؛ كتبها على جبيني قبل أن أولد.

صدّق كل ما قلته لك آنفاً، وإلا؛ فاقرأ هذه الرواية... لتصدّق.



(1)

وقف مثل فزّاعة مكسورة الجناحين، لا يقوى حتى على التلويح بيديه، فقد ترعب الفزاعة عصفوراً، بينما هو أدنى من عصفورٍ مرعوب. تهفهف ريح شباط بغدادي دشداشته البالية، لينسل البرد عبر جلده الجاف ولحمه الرقيق، فيهطر عظامه الهشة، مثل قدّوم حطّ على قصب.

تلفت في الشارع العاجّ بالناس والمركبات، راقب الحياة السريعة الإيقاع، كأن الناس هنا يدركون قيمة الزمن، فلا يضيّعون ثانيةً منه. هم يختلفون عن أناسه هناك في قرى (كركوك)، حيث يتمرغون في الملل، حتى ينقضي النهار.

في يده شطر من دينار، بلونٍ أخضرَ مزرقٍّ، وزخارفٍ منمّقةٍ معقدةٍ، وإمضاءٍ رشيق يعتلي (المحافظ). هو كل ما تبقى بحوزته، دُوّن عليه تأريخ الليلة الماضية، السابع من شباط العام 1979، بخطٍ جميلٍ، وحبرٍ أخضرَ... شطرٌ يلوّح بخيبةٍ، تختزل وجعاً هائلاً، يشبّ كغولٍ ساخرٍ، يذكّره بحماقةٍ ارتكبها ذات غفلةٍ.

شطرٌ يفتقدُ شطرَه الآخر، لعله حين يلتصق به، سيسدد ثمن وجبة طعام تقيم صلب (حوّاس)، الذي كادَ يتهالك من الجوع والبردِ والهزيمةِ المرة. لكن الشطر الآن لا نفع فيه، كـ(خف حُنين). تركه لحوّاس صباحاً رجلٌ عجوزٌ، على المقعد في القطار، ليخلدَ الشطرُ، ويتبددَ كلُّ ما قبضه حوّاس من الصائغ الليلةَ البارحةَ.



نمّت نظرة الصائغ الخمسيني الأصلع البدين، من أعلى إطار نظارته السميكة، عن حنكةٍ بمعادن الناس، تفوق خبرةً بتقييم خلخال الذهب.

دون تمهيدٍ سأله الصائغُ بلكنةٍ هجينةٍ:

- من أين سرقتَ هذا الخلخال يا فتى؟

تلعثم حوّاس... ازدرد ريقه، أخفى ارتباكه، سانداً جسمَه النحيلَ بأطرافِ أصابعه على المعرض الزجاجي الواطئ، الفاصل بينه وبين الصائغ، الذي أكّد ببرودٍ:

- باستطاعتي تسليمك إلى الشرطيّ هناك، ما لم تخبرني الحقيقة.

أشار الصائغُ إلى شرطي حراسة يتجول في سوق الذهب، متنكّباً بندقيته مدخّناً سيجارة، تتتبع نظراته النساء. الحقيقة التي لم يدركها حوّاس، أن الصائغ لا ينوي مطلقاً اللجوء إلى الشرطيّ، بعد أن حظي بصفقةٍ مربحةٌ.

- لم أسرقه والله.

هتف حوّاس، وهو يمسك حافة المعرض الزجاجي؛ ليوقف ارتعاشة أطرافه... أردف وهو يزيغ ببصره في سقف المحل:

- والله إنه خلخال أمي، هي في المستشفى تعاني من السرطان... أحتاج ثمن الخلخال لشراءِ أدويةٍ لها.

ضمت عباراته التي تدرّب عليها مراراً، قبل أن يلج محل الصائغ، دفقاً من الكذب مشوباً بنتفٍ من الحقيقة، استبان الصائغُ الارتباك البادي على الفتى، لاحظ الفقرَ المدقع المنعكس عن هندامِه، وأدرك انتماءه من لهجَته القروية؛ فأوجز الصفقة بحزم:

- إياك أن تزجّ الربَّ العظيم في البيع والشراء أيها الفتى، أوقنُ أنك كاذبٌ؛ لذا سأدفع لك خمسين ديناراً فقط، وإن جلبت لي وصل أدوية بخمسين ديناراً كما تدعي، سأمنحك خمسين أخريات.



أطرق حوّاس يائساً، ووافق برغم أن الثمن الحقيقي يعادل أضعاف عرض الصائغ، ردّ بلهجةِ القريةِ المظلومة في عقر المدينة:

- ما يخالف.

دسّ أربعين ديناراً في بطانةِ سترته الرثة بعد أن لفها بكيسٍ من النايلون هيأه لذلك؛ خشية تلفها، أربعون ديناراً ستحقق له حلمه في (بغداد)، وماذا بعد الحلم؟ إنه لا يريد أن يدرك ذلك! هو يحلم، ويصب كل حواسه في سبل تحقيق حلمه، ولا يهمه بعدها أين سيجد نفسه.

لفح الهواءُ الباردُ وجه حوّاس، حين خرج من محل الصائغ، تلفّت في الشارع النظيف، استنشق هواءً رطباً، راقب الدكاكين المنتظمة، تمنى أن يحضر عرضاً في (سينما أطلس) التي تبعد عنه خطواتٍ، كانت لوحة الإعلانات تعرض صورةً لفيلمٍ هندي، تبدو الفتاة الهندية في الصورة مغريةً؛ ببطنها البض المكشوف، لكنه تذكر أن الوقت لا يحتمل التبذير. تأكد من أن الدنانير العشرة التي فرزها عن ثمن الخلخال، لابدةً في جيب سترته الداخلي. ستكون عدته، لبلوغ الهدف.

التف من شارع (أطلس) يميناً؛ نحو شارع (الثورة)، مشى قاصداً مطعم (كباب درويش) حيث سيبدأ الحلم مسيرة تحققه، من وجبة كباب شهية، لينتهي في أحضان (دلال).



(2)

صورةٌ كبيرةٌ لرئيس الجمهورية يبتسم، كتب في هامشها (الأب القائد)، بجانبها صورة مماثلة الكُبر لنائبه وهو يبتسم أكثرَ، حملت عنوان (الرفيق المناضل)، تتوسطان الحائط الأصفرَ في المقهى الصغير. رواد المقهى هائمون فوق سحابةٍ من الملل، أحدهم يحدث رفيقه بلهجةٍ بغدادية يستغربها أهل كركوك، حين تتمايز فيها الحروف، الثاني يكلم ابنه باللغة الكردية، بينما صاحب المقهى (أبو شهاب) يترنم باللغة التركمانية، ثم يجيب زبائنه؛ كلاً بلغته.

- شاي أبو الهيل.

قالها أبو شهاب حين وضع (استكانَ) الشاي بحركةٍ رشيقة، على منضدة الصفيح الرفيعة العالية، أمام حوّاس.

كان الجوع لا يزال يقرقر في بطن حوّاس، فوجبة الكباب المضاعفة التي تناولها في مطعم (كباب درويش) الملاصق للمقهى لم تسدّ الشره. تمنى لو استطاع أن يتناول وجبة أخرى، فقد أخذ طعمُ الكباب منه مأخذه، وأضاف الجوع إلى اللذة طعماً أشهى، فهو لم يذق شيئاً منذ غادر المنزل فجراً، قاطعاً المسافة التي تفصل قريته عن كركوك سيراً على قدميه، سالكاً الحقول، متجنباً النيسم، خشية أن يلحظه أحد من أهل القرية. لم تكن حقول الباقلاء لتضيف إلى رغيف الخبز الذي حمله من البيت شيئاً، ولولا برد شباط، لأهلكه العطش مع تعب السير في طريق وعرة.

استمتع بشرب الشاي، انتعش حين قدم له زبونٌ يجلس جنبه على الأريكة الخشبية الصلبة، سيجارة (سومر). وقال له:

- (الله بالخير).



شكره وحيّاه بكفه رداً للتحية، مد الرجل يده ليشعل السيجارة بقدّاحته الذهبية، ذات الغطاء القلاّب. التفتّت كف الرجل وكفا حوّاس حول الشعلة، زاد بريق القداحة الذهبية، أوحت لحوّاس بشعورٍ قابض. شهق الدخان بانتعاش، تلذذ بطعم الشاي المهيّل، أصغى إلى أحاديث المحيطين به، كانت نغماتٍ عدة تشكّل معزوفة جميلة.

دبت في بدنه ارتعادة قلق، حين صاح رجل كردي من روّاد المقهى على صبي معه فخنس، انصبت كلمات الرجل كالوابل فوق رأس الصبي. لم يفهم حوّاس شيئاً من الكلام، لكنه تذكّر كُرداً قتلهم أبوه في شمال العراق، عُصاةً خارجين على القانون. تخيّل حوّاس أن يكون هذا الكردي الغاضب أحد أقاربهم، فيقتله ثأراً لهم، لذا قرر أن يغادر المقهى.

حين همّ بدفع ثمن الشاي، أخبره أبو شهاب:

- حسابك واصل من (كاكه حمه).

أشار إلى كردي يجلس على أريكة، تحت صورة (الرفيق المناضل).

لم يفكر حوّاس بأن يشكر الرجل على صنيعه بإيماءة، أو أن يتعرّف عليه، بل قرر اللوذ بالفرار، قبيل أن تتحقق أوهامه.

(3)

غذّ السيرَ مولياً وجهه شطر محطة القطار، وقلبه شطر دلال بائعة الهوى، حالماً بالوضعية التي سيضاجعها بها، دلالُ التي عشّشت في مخيلته منذ وصف له ابنُ شيخ العشيرة لذة طعمها:

- إن لم تتذوق طعمَ مجامعة دلال؛ فإن عمرك خسارة.

- صفها لي أرجوك.

توسّل حوّاس بابن الشيخ، الذي رافق أباه لأول مرة إلى بغداد قبل



شهر، حيث قضيا أسبوعاً أحمرَ، تناوبا خلاله على التمتع بدلال كل ليلة، وكانا يعلنان استسلامهما للنوم عند مطلع الفجر، على قهقهتها الساخرة.

- أطيب ما في الدنيا.

قالها ابن الشيخ وهو يراقب غيمة صغيرة مسرعة، أكّد حين نظر إلى حوّاس:

- حلمٌ لا يطال بالنسبة لأمثالك.

- كم تكلّف ليلتها؟

- عشرون ديناراً.

- في الليلة؟! إنه مبلغٌ كبيرٌ جداً!

صاح حوّاس فزعاً، وأردف سارحاً:

- يعني مئة وأربعين ديناراً في الأسبوع! ما يزيد على أجوري في الحقل طوال الموسم.

هزّ ابن الشيخ رأسه، نافياً:

- كلا أيها الغر... أكثر بكثيرٍ من ذلك. نقدها أبي رزمةً كبيرة من المال، تناهز الخمسمائة دينار.

أطرق حوّاس، نبش التربة بسبابته، سرح بعيداً يفكر.

- لكن الحق يقال؛ إن هذا المبلغَ تافهٌ.

فرك ابن الشيخ بطنه بشهوة... لحس شفتيه، أتمّ وهو يتعقب مؤخرة الغيمة:

- مقابل الطعم الذي ستتذوقه... أضف إلى أنها ستكفل لك الطعام والحلوى.



(4)

حين قبض حوّاس الخمسين ديناراً من الصائغ، فكّر بليلتين خالدتين سيعيشهما مع دلال، لذا قرر أن يدّخر ما استطاع، حتى يصل بيتها، فضل استقلال القطار المنطلق مساءً إلى بغداد، على مركبة الأجرة. ففوق ما سيوفره القطار من فَرَقٍ في التكاليف، سيوصله بغداد مع طلوع شمس صبيحة اليوم التالي، ويجنبه مغبة تدبير مكان؛ لقضاء بقية الليلة.

تلملم في المقعد المخصص له في القطار، متكوراً على نفسه وسط دشداشته المصفرة وسترته الرمادية البالية، لمح عن يمينه، على المقعد الملاصق لمقعده، رجلاً عجوزاً يقرأ كتاباً. بحث حوّاس عن الدفء في أحشائه التي لم تكد تستمد وقودها من الكباب الشهي واستكان الشاي المهيّل وسيجارة سومر المعتقة. نظر عن يساره عبر النافذة، محاولاً تصفية ذهنه المضطرب. كان الظلام دامساً، والأرض مقفرة، بدا الهلال واهناً مصفراً؛ ككسرة من خلخالٍ ذهبي.

أغمض عينيه المتعبتين وأسند رأسه على المقعد، تخيّل أمه وقد اكتشفت أن خلخال الذهب، لأول مرة، لا يحيط بكاحلها الأيمن. الخلخال هو آخر ما أهداه لها أبو حوّاس، أوصاها أن تحتفظ به لأيام العوز. دفع ثمناً له المكافأة التي حصل عليها من وحدته العسكرية، مقابل قتل عشرة مقاتلين كُرد.

ظلت أم حوّاس من يومها تتفاخر بين قريباتها وجاراتها بالخلخال، فتحسر ثوبها وتجهد أن تظهر الخلخال حين تتزاور مع إحداهنّ، لتثبت للجميع أن خلاخيل الذهب ليست حكراً على زوجة شيخ العشيرة، بل بإمكانها هي، برغم كونها زوجة عريف في الجيش، أن تتزين بالذهب. بيد أنها سترخي ثوبها بعد الليلة، لئلا تقول نسوة في القرية؛ «امرأة العريف، قد سرق ابنها خلخالها وهرب».



- هلا شاركتني في الطعام؟

سأله العجوز الجالس عن يمينه، المرتدي هنداماً أبيض، لا يليق بالشتاء! الواضع نظارة ذهبية الإطار تزيده هيبةً. فتح حوّاس عينيه ليجد العجوز قد فرش على فخذيه رغيف خبزٍ ووجبة كبيرة من الكباب، تلتف حولها قطع مشوية على الفحم من الطماطمِ والبصلِ والفلفلِ الأخضر الحار. كانت المائدة أغرى ما تكون، والجوع أوجع ما يكون، تدفق اللعاب في فمه، بدأ يأكل دون أن ينبس بكلمة، يغمض عينيه انتشاءً بطعم الكباب المنبث في الرأس قبل المعدة، يسرح في ألوان من الخيال. ظل يزدرد اللقمة تلو الأخرى بشرهٍ، وانتبه حين تناول اللقمةَ الأخيرة أن العجوز لم يمد يده إلى الطعام، فشعر ببعض الحرج. نظر من زاويتي عينيه إلى العجوز، الذي لاطفه:

- هنيئاً مريئاً... يبدو عليك الجوع والتعب، وينقصك قدحُ شاي مهيّل، لتكتمل اللذة، دونَ سيجارةٍ... أليس كذلك؟

استغرب حوّاس من عبارة العجوز، وافقه بهزة سريعة من رأسه، ارتج لها جسده النحيل. لملم الرجل العجوز بقايا الطعام، دسها في كيس ورقي كبير استله من تحت مقعده، تناول من هناك براد شاي سفري، وكوبين أبيضين، ابتسم وهو يصب الشاي بهدوء، متوخياً ارتجاجات القطار المنتظمة على فواصل سكة الحديد.

أراد حوّاس أن يفتح باباً للحوار؛ درءً للحرج. سأل العجوز حين ناوله قدح الشاي، وهو يومئ إلى الكتاب المحشور بين المِقعدين:

- ماذا تقرأ؟

أجاب العجوز مبتسماً بشاربيه المثلثين:

- (الحظ السعيد)... أنا متخصص في تدريسه، أتؤمن به؟

حدّق حوّاس في سقف المقطورة التي تهتز بانتظام، رشف رشفة شاي،



فمرقت في ذاكرته محطات شقاء عدة، كشريط فيلم سريع؛ فقدان أبيه، وعدم موافقة الوحدة العسكرية احتسابه أسير حرب أو شهيد... الفشل في الدراسة الثانوية، وضياع الحلم في دراسة الإعلام... زواج حبيبته من ابن عمها... فأوجز ليقطع الشريطَ المؤلم:

- لا أثرَ للحظ في حياتي!

- يمكنك أن تلفت انتباهه، وأن تجذبه إن شئت.

مطّ حوّاس شفتيه مستغرباً، جادل:

- ألا يولد الإنسان مكتوباً على جبينه؛ شقي أو سعيد؟

- هذا خطأ شاع بين الناس، فلا فضل للجنين كي يولد سعيداً، ولا ذنب له كي يولد شقياً، إنه محض جنين!

لم يسمع حوّاس رأياً كهذا من قبل، أصغى للعجوز الذي استطرد:

- كل ما في الأمر أن الله رأى مستقبلك، حين كنتَ جنيناً، فدوّن نهايتك قبل البداية... لكنك قادر على تغيير مسلكك الآن.

قالها العجوز مبتسماً ابتسامة كبيرة، شفّت عن نابٍ ذهبي يلمع بين أسنانه البيض، برق خلخال الذهب في ذهن حوّاس. تنهّد وعاود النظر إلى سقف المقطورة، سأل العجوز بجدية:

- أتعني أنني يمكن أن أكون سعيداً؟

- بسهولةٍ مطلقة.

- كيف ذلك؟

- يجذب الحظ إليك! فكِر اليوم أنك محظوظ وستكون غداً محظوظاً. إنك اليوم تجسد أفكار الأمس، وغداً ستجسد أفكار اليوم.

- أأنت عرّاف؟

أغمض العجوز عينيه وتمتم:

- العرافون فتّات الأنبياء.



نظر في وجه حوّاس، وقال ببطء:

- (الكون مغناطيس يجذب ما تفكر به دون تمييز... يعملُ، سواء كنت مؤمناً به أم غير مؤمن، يجعلك تحصل على ما تفكر به تحديداً، لذا عليك أن تفكر بالحظ لتحصل عليه).

- أنا لا أفهم ما تقوله!

- السعداء مؤمنون بسعدهم، يفكرون به دوماً، وهم بهذا يجذبون المزيد من السعادة. بينما الأشقياء مستسلمون لشقائهم، يفكرون به دوماً، لذا لا يغادرهم الشقاء أبداً.

نفض حوّاس رأسه كأنه لا يستوعب ما يسمع، واستمر العجوز يراكم الفكرة فوقه:

- أنت ذاهب إلى بغداد، من أجل قضية ما، فهل تتوقع أنك ستنالها أم أنك ستفشل فيها؟

تردد حوّاس قبل أن يجيب:

- لا أستطيع أن أميز حدسي، لكن الوساوس تأكلني، أشعر أن القدر سيسرق مني حلمي.

ابتسم العجوز... أسند ظهره إلى مقعده، وأكّد:

- إذا نجحت في مسعاك إذن، فإن ما حدثتك عنه، محض هواءٍ في شبك. وإذا سرقك القدر أو أحدٌ ما، فعليك أن تفكر بما قلته لك... تتمسك به ما حييت.

عاد العجوز إلى كتابه تاركاً حوّاس يحدّق في سقف المقطورة، همس له قبيل أن يغلبه النعاس:

- أنت مولود لتُسعد، ما عليك إلا أن تفكر بالسعادة... (تفاءل بالخير؛ تجده)، وإياك أن تفكر بالشقاء؛ لأنك ستشقى حينها... تشاءم بالشر؛ تجده.



(5)

توقف القطار، ضج الركاب يتدافعون بلغطٍ، استيقظ حوّاس متثائباً، ليجد العجوز قد غادر مقعده، والركاب محشورين في الممرِ، متأهبين للنزول على عجل. للحظة توهّم أن ما مر به الليلة لم يكن سوى حلمٍ، بحث عن أي أثرٍ للطعام تحت المقعدِ، عن أية فُتاتٍ؛ فلم يجد شيئاً! تثاءب، لمح ورقة نقدية من فئة الدينار مكان العجوز، تناولها لكنه تفاجأ بأنها شطرٌ من دينار، مدوّن عليه بحبرٍ أخضر تأريخ اللّيلة الماضية.

- لا تصلح إلا للذكرى.

قال ذلك ساخراً محدثاً نفسه، دس شطر الدينار في جيب دشداشته، مسح براحته على شاربيه الخفيفين، انسل بين الناس لينزل معهم.

حطت قدماه أرض بغداد لأول مرة، حين نزل من القطار، تعثر وكاد يقع، وقف بهيئته الرثة، فاغراً شفتيه الرفيعتين، فاتحاً عينيه الخضراوين على اتساعهما، يتلفت في مدينة طالما حلم أن يراها، مذ كان يقرأ عنها في كتبِ المدرسة، ويسمع من روادها المبهورين بها. أوجس في قلبه عشقاً للعيش فيها، وهو يبصر تلألؤ شوارعها المبللة من أثر زخة مطر، مع أشعة الشمس المتغلغلة عبر فتوق الغيوم، لتبث بعض الدفء في أوصاله المرتعشة تحت ثيابه البالية.

ابتسم للمحطة العالمية، المبنية من الطابوق، بطرازٍ يبعث على الشعور بالسعة والرفاهية. تمعن بجدرانها العالية، وممراتها الأنيقة. مَر المسافرون مسرعين عن يمينه وعن شماله، لكزهِ البعض منهم بكتفه؛ واعتذر منه بلطف. وجد حوّاس لذة غريبة؛ حين اعتذرت منه امرأة داست على قدمه. تألم أول الأمر، لكنه شعر براحة وهو يرى ملامحها تعج بالحنان والشفقة، قال لها:



- لم يحدث شيء، الأمر بسيط.

ولت المرأة مسرعة مع أولادها، تمنى حوّاس أن يتكرر الموقف مع امرأة أخرى، بيد أن أحداً لم يقترب منه، فقد خف وطء الزحام.

شعر بدفءٍ لذيذٍ، تسرب إليه من الدنانير الأربعين التي دفنها في بطانة سترته، تقيداً بوصية ابن الشيخ، خشية السرقة:

- حين تستكري مركبة؛ اتفق على الأجرة قبل الانطلاق، فالبغداديون يستغلون الغرباء، يظنون أننا أقل منهم فطنة، ينظرون إلينا بعينٍ صغيرة، يسموننا (أبناء المحافظات).

ضحك حوّاس من كلام ابن الشيخ، الذي بدا جاداً في قلقه وتحذيره، فسأله متغابيا:

- ماذا إذن لو علموا، أننا من أبناء القرى؟

- أتدري أنهم بدأوا يتهيّبون من الدشداشة في الآونة الأخيرة.

تفحّص حوّاس دشداشته باستنكار، أتم ابن الشيخ كلامه ليجرف حوّاس بتيار الحيرة أبعد:

- يقول أبي في حواراته مع بعض رجال القرية، إن الدولة باتت بيدنا نحن أهلَ القرى، وبرغم أنني لا أفهم مغزى كلامه، ولا أجرؤ على الاستفهام، لكنني ألمس التأييد على كلامه، من خلال رؤوس الرجال التي تهتز أسرع من مدكّ الهاون، الذي أسحن به حبوب القهوة لهم.

سار حوّاس بين الناس، هالته كثرتهم، تلفت باسماً ليقارن بين هذا العدد الكبير وبين أبناء قريته، الذين لا يتجاوزون بضع مئات، «كم قريةً يملأ هؤلاء؟»، تساءل مع نفسه وهو يتجه صوب مركبة أجرة، ليسأل سائقها بعفوية:

- مرحبا يا ابن عمي، هل يمكنك أن توصلني إلى هذا العنوان؟

أعطى حوّاس السائقَ ورقةَ، كان ابن الشيخ قد دوّن عليها عنوان



دلال. أضمر السائق ابتسامة استخفاف، وأومأ له بالركوب.

– كم تتقاضى على التوصيلة؟

سأله حوّاس وهو يركب، لكن السائق ازدرى به:

– أتبحث عن بائعة هوى؟

ابتلع حوّاس ريقه، نظر إلى الناس المالئين الشارع جيئةً وذهاباً، وقال مموهاً:

– من قال هذا؟ أ قرأت في الورقة اسم امرأة؟

ضحك الرجل بخبثٍ وهو ينطلق بالمركبة، بيّن:

– الحي الذي تقصده هو حي المواخير يا رجل، فلمَ الخجل؟ ما اسم المرأة التي تبحث عنها؟

تساءل السائق بحذر، بينما حوّاس يقلّب وجهه في الطريق مشدوهاً بالعمارات والأشجار التي تحف البيوت بانتظام، أجاب متظاهراً بالضجر:

– ما بكَ يا ابن عمي، قلت إنني لا أبحث عن امرأة.

لكز السائق بقبضته فخذ حوّاس ليشد انتباهه، أكّد بلكنةٍ مداعبة وهو يغمز عينه:

– أريد أن أساعدك... أختصر عليك الطريق... أنا أعرفهن جميعاً.

نظر حوّاس إليه من زاويتي عينيه وسأله:

– هل أنت قوّاد؟

فجأةً أوقف السائق المركبة وسط الشارع، سمّر نظره إلى الأمام، زفر باضطراب. بيد أنه تنهد وتدارك نفسه كاظماً غيظه، تصنّع ابتسامة، وأضمر حقداً:

– أنا أنقلهن ما بين السوق ومنازلهن، لذا أعرفهن جميعاً يا.. ابن عمي.

فرك حوّاس كفيه بنشوة، مؤملاً نفسه ببلوغ الغاية، وأرتاح من وصف السائق له بـ(ابن عمي)، فأعلن:



- دلال... اسمها دلال يا ابن عمي.

- أوه... (لولة) أعرفها عز المعرفة.

قالها السائق وهو يهز رأسه طرباً، وأردف:

- سأوصلك إلى باب بيتها.

شعت البهجة من وجه حوّاس، قال مأخوذاً متوسلاً:

- أحقاً ما تقول؟ صفها لي أرجوك.

هزّ السائق يده ورأسه بحركة متواترة؛ معرباً عن انبهاره:

- شيءٌ لا يوصف... أطيب ما في الدنيا.

(أطيب ما في الدنيا) ذات العبارة التي وصفها بها ابن شيخ العشيرة، لا بد أن تكون هي بعينها دلال.

راقص السائق أصابع كفه بطريقة صبيانية، وقال:

- سأوصلك بخمسة دنانير.

أدرك حوّاس أنه وقع في فخ حذّره منه ابن الشيخ! لكن لا انفلات منه، ما دام السائق الذي يستغله سيوصله إلى مبتغاه بلا عناء، وافق على مضض. أبدى انزعاجه، زجر السائق بشيء من التعالي:

- إذن أسرع يا ابن عمي، فليس أمامي النهارُ بطوله.

النهار في أوله، الشارع دائب الحركة، لمح حوّاس بعض النساء كاشفاتٍ عن صدورهن المتوردة، وسيقانهن العاجيات. انتعش وشعر بقشعريرةٍ لذيذة، سرت في جسده مسرى الدم، تخيل بضاضة وبياض جسدها اللين، دلال التي لن يدعها تبرح السرير طوال ليلتين. تخيّل أنّ بمقدوره أنْ لا يأكل ولا يشرب طوال الليلتين القادمتين، ليقضي جُلَّ وقته في أحضان دلال يرفل الأغطية، يمزق اليأس، يحرق الوهم. حتى لو اضطرت دلال للأكل، فستأكل دون أن تبرح السرير.

فكّر من أين يبدأ بمداعبة دلال، استنبط أفكاراً من الصور الإباحية



التي كانت تدور بين أكف زملائه الطلبة في الثانوية، متسرّبةً إليهم من سواقي الشاحنات الأتراك، الذين يستبدلون الصورة الواحدة بحفنة من ورق الشاي، إذ يقف الشاب حاملاً بيده كيساً مملوءً بورق الشاي، ويقف في الطرف الآخر سائق تركي، يلوّح بورقة منزوعة من مجلة، تحوي صورة إباحية. في كلا الطرفين، كان كلّ من المقايضَين يبتسم ساخراً من الآخر، يظن نفسه الغالب!

توقفت المركبة أمام بيتٍ متواضع متهالك البناء، في شارع ضيق، تتراصف فيه البيوت مكتظةً، بطرازٍ فقير. تساءل حوّاس:

- أهذا حي (البتّاويين)؟

اقتضب السائق جوابه، مد يده مطالباً بالأجرة، غامزاً بحاجبيه:

- وهذا هو بيت دلال.

ازدرد حوّاس ريقه، كاد يلتقم اللذة. قال كمن غاب عنه وعيه، وهو ينقد السائق خمسة دنانير:

- ماذا سأفعل الآن؟

قابله السائق بضحكة ماكرة، حين قبض الأجرة، وتمتم:

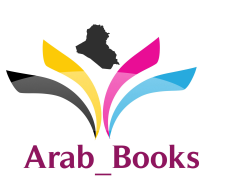
- أنت أدرى يا ابن عمي.

وقف حوّاس حائراً أمام باب البيت الموارب، لمح كهلاً يقف عند باب البيت المجاور، عاقداً يديه خلف ظهره، عينا الرجل تبرقان محذرتين. ربط حوّاس جأشه، شدّ سترته البالية متحسساً موقع الأربعين ديناراً.

نقر زر الجرس، فأتاه صوتٌ أجش، لم يتمكن من تمييزه إن كان لرجلٍ أم لامرأة:

- ادخل... الباب مفتوح.

ولج الباب قلقاً من السكون المخيم، تلفّت باحثاً عن مصدر الصوت دون أن يلمح حركة، فنادى بمناداة أهل القرية:



- يا أهل الدار.

لم يرد عليه أحد؛ ارتبك... فكّر للحظة بالعودة أدراجه. مرق في ذهنه الرجل العجوز يبتسم بنابه الذهبي، يردد نظرية الجذب المربكة. تقف بجانبه أم حوّاس دامعةً، حاسرةً ثوبها القديم، تئن ساقها فُقد الخلخال. تخيّل أن يضيّع حلمه بمجرد التفكير بفقدانه. التفت صوب الباب فباغتته صرخة مولولة رجت السكون، فوراً دلف من الباب شابان منذهلان يصيحان به:

- حرامي... حرامي.

رفع حوّاس يديه مستسلماً صائحاً بهما:

- أنا لست لصاً... أنا أبحث عن دلال.

ضاعت صيحاته ما بين تأوهاته، وشتائم وضربات الشابين. صحا على آلام مبرّحة في أنحاءِ جسده، ملقى به في الشارع الضيق، ينزف دمه من أنفه وفمه، يرتجف ألماً وبرداً. وقف الرجل ذو العينين البارقتين عند رأسه، ناوله منديلاً جَعِداً ليمسح به دماءه. ساعده على النهوض، ونصحه:

- غادر الحي بأسرع ما يمكنك، هؤلاء الأشقياء أوقعوا بك... سرقوا منك ما يمكنهم.

نفض حوّاس يديه وقال:

- ما الذي وجدوه لدي ليسرقوه؟!

- يبدو أنهم لم يجدوا أكثر من سترتك الرثة، فسرقوها منك.

خبط رأسه بيديه، وصاح:

- يا ويلتاه... ماذا سأفعل الآن؟

أدبر الرجل عنه مؤكداً:

- غادر الحي بسرعة... بسرعة.



مشى حوّاس مترنحاً بلا هداية، تأخذ به الأفكار كل مأخذ. تساءل؛ كيف وصل بنفسه إلى هذه الحال؟ بائساً خاوياً، يجوب مدينةً كبيرةً، لا يعرف فيها أحداً. كيف قلَب موازينه بيديه، بين ليلة وضحاها؟ وعى أنه برغم معاناته من الفاقة في قريته، أسوةً بأغلب أهلها، فقد عاش مع أمه وأخيه وأخته، في بحبوحةٍ من المودة، يلقى عطفاً من أقربائه بعد غيبة أبيه في المجهول. كيف سيعود إلى ذلك الحال الذي لم يكن يشعر بهنائه؟ كيف سيواجه أمه بعد أن سرق خلخالها، وأضاع كل ما جناه من ثمن الخلخال؟ لن يصدق ابن شيخ العشيرة الحقيقة، حين يقول له إنه لم يجد دلال، وأنه سُرق منه ما سرقه من أمه. لقد وصل إلى نقطة اللا عودة، ولم يترك خط رجعة له حين خطط للأمر؛ بل إنه لم يخطط أصلاً، فتوغل في الحياة على السليقة، والحياة لا تحترم من لا يعيرها اهتمامه. ها هو ذا يسقط من حافة الهاوية، يتخبط بجدرانها المسننة، لعله يمسك صخرة نائئة، أو جذر شجرة ممتداً.

لفحه نسيم قارس البرد، دلس يديه في جيبي دشداشته، تحسس ورقة في أحدهما، أخرجها فوجدها شطر الدينار الذي تركه عجوز القطار. نفث ابتسامة ازدراء، تهكّمَ:

- ثروتي الوحيدة... صباح الشر.

فكّر بكلام الرجل العجوز حول الحظ السعيد، وكيف يمكنه أن يجذبه إليه كمغناطيس إن أراد. وأدهشه أن النظرية توافقت مع الأحداث التي مرت به، فقدْ فقدَ كل ما يملكه، في لمح البصر، بعد أن اختطفه القدر، أو شقيين تآمرا عليه مع امرأة سيئة لم يرَ وجهها، وسائق قوّاد، يوقعون بالغرباء في لمح البصر. لم يبرئ حتى الرجل ذي العينين البارقتين الذي نصحه بالفرار، فربما كان مكلفاً بإنهاء العرض المسرحي!، «... وإذا سرقك القدر أو أحدٌ ما، فعليك أن تفكر بما قلته لك... تتمسك به ما



حييت.»، هكذا قال له عجوز القطار. وقف أمام مطعمٍ وسط سوق كبير، لم يكن يدري كم قطع من مسافة سيراً على قدميه حتى وصل إلى هنا، هو لا يعرف اسم المكان. بدا الوقت ظهراً والناس يرتادون المطعم لتناول الغداء، توقع أن ينادي عليه صاحب المطعم بشهامة للدخول، كما يحدث في القرية مع الغرباء. لكن صاحب المطعم لم يبالِ به، بل شزره من خلف زجاج الواجهة بنظرة طاردة، حين طالت وقفته؛ نظرة كتلك التي يرمق بها شيخُ القرية الفلاحين، حين يتقاضون منه دراهمهم المعدودة، جزاء عرق الموسم الغزير. لم يعد باستطاعة حوّاس مقاومة رائحة الكباب الذكية التي تفوح، ولا نظرات صاحب المطعم المزدرية لهيئته، فبذل جهداً وهو ينسحب بفتات عزة نفسه.

مشى موجعاً بالجوع، متخماً برائحة هي أقرب في تصوّره إلى رائحة الجنة، تبعث في نفسه لهفةً لا تُكبح، تتطلب مقابلاً ثقيلاً لينالها الفقراء أمثاله... أليست الجنة هكذا؟! ضحك في سرّه، وهو يتذكر قول ابن الشيخ، ذات جلسة:

- يستطيع أبي أن يشتري الجنة بماله.

صرخ حوّاس باستفزاز:

- أستغفر الله... لا تكفر؟

أوضح ابن الشيخ، بمزيدٍ من التطاول:

- بل إن أبي يستطيع أن يكون رفيق النبي في الجنة، واصبر حتى أبيّن لك.

زفر حوّاس غيظه، وهز رأسه متأففاً:

- هات ما عندك.

- لو أن أبي كفل يتيماً من أيتام القرية بماله، حتى أبلغه أشدَّه، وزوّجه، وأوكل إليه عملاً يقتات عليه هو وعائلته، فإن أبي سيندرج ضمن حديث النبي «أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين»، أي كالسبابة



والوسطى، أوليس هذا ما قاله لنا مدرس التربية الإسلامية؟

أشار ابن الشيخ بسبابته ووسطاه على صدغه، ليثير حوّاس الذي سأله:

- لمَ لا يكفلني أبوك إذن؟

أشاح ابن الشيخ بوجهه، ومط شفتيه:

- لست اليتيم الوحيد في القرية... ثم من قال إن أباك قد مات؟ حتى الجيش لم يصرف لكم شهادة وفاته، أو بيان أسْره.

توتّر حوّاس، وتخبّط:

- المدرّس يكذب... لقد قال أيضاً «الجنة تحت أقدام الأمهات»، وكلما نظرت تحت قدمي أمي، وجدت فطوراً غارزة في كعبها، ورائحة نتنة تنبعث من بين أصابعها... كيف للجنة أن تكون سبخة نتنة؟ إنه يكذب.

- لا تنس أنه ينقل أحاديث النبي، إياك والشك.

قالها ابن الشيخ وهو يهز سبابته في وجه حوّاس مهدداً، أو ربما مذكراً بأبيه الذي سيكون كالسبابة في الجنة إلى جوار النبي!

(6)

تحسس حوّاس شطر الدينار في جيبه، حين لمح امرأة مكللة بالسواد، تجلس عند ركن المطعم، تفترش سجادة زرقاء من قماش القطيفة، يمتد بعضها أمامها، لتبعثر عليه أحجاراً ملوناتٍ. اقترب منها حوّاس باحثاً عن ملامحها، لكنه لم يلمح إلا فمها، فخمارها الأسود يتدلّى على جبينها وعينيها، حتى يجتاز ذؤابة أنفها الذي يبدو مدبباً، فلا يظهر سوى فمها وجزءٍ من ذقنها الملفوف بالخمار من أسفله بثقة. ثمة تجاعيد تحيط بفمها الخيطي، لتفصح عن عمرٍ ناهز الستين.

تربّع أمامها في جلسته، منساقاً برغبةٍ كامنة تحثه على تحري الغيب،



وملحّة بين أضلعه، لتغيير مجرى حياته، قدح فتيل انفجارها عجوز القطار، حين قال له «العرّافون فتات الأنبياء».

- أأنت من فُتات الأنبياء؟

سألها ليفتح باباً للحوار، فابتسمت له. لمع نابٌ ذهبي بين أسنانها، فلاحَ في أفق خياله خلخال أمه وعجوز القطار:

- أنت مفلسٌ، لا يرتجى منك نفعٌ.

أكدت العرّافة، بينما اقترب منها حوّاس قليلاً وقال:

- الأنبياء لا يتقاضون ثمناً على ما يفعلون، فتأسي بهم هذه الساعة، واقرئي لي فألي بلا مقابل.

كبرت ابتسامتها، فطفق الناب يخصف على كل الأسنان ذهباً، وبدت مبتهجة:

- سأقرأ لك كفك.

أمسكت برسغه بقوةٍ لا تتناسب ومظهرها، أحس بطراوة راحة يدها، فسرت في جسده قشعريرة لذيذة، أيقظت حلماً جميلاً راوده ليلة أمس، تذكّر دلال وما ضمره لها من مشاعر لا توصف. تنهد بحسرة، انتبه إلى المرأة العجوز وهي ترص رسغه:

- أطرد الشيطان، وصفِّ ذهنك في هذه اللحظة، كي أقرأك.

مسحت بأنامل يدها اليمنى راحة حوّاس، وكأنها ترتب أشياءً مبعثرة، بين خطوط راحة يده، لاحظ حوّاس خاتماً غريباً في خنصرها الأيمن، طوقه من الفضة، في كأسه خرزة مستطيلة من العقيق بنية اللون، يلتفّ فوقها خيطان من الفضة ليرسما صليباً ملتوياً بمرونة، شكّل في النهاية زهرةً بأوراقٍ أربع، وعلى جانبي الكأس رسم ختم الزهرة الفضية على خلفيةٍ سوداء.

لم تتوقف العجوز عن مسح راحة يد حوّاس، حتى ركّزت سبابتها في



وسط راحته، راحت تنبش بأنملتها شيئاً، ثم بدأت تنبش بظفر خنصرها المكان، وتحكّه بزهرة الخاتم حكاً شديداً أوجع حوّاس، حتى خيّل له أنها ستثقب كفه، فصاح:

- على مهلك أيتها المرأة، أنت تؤلمينني.

ثبّتت الخاتم على ذات المكان الذي ألحت عليه بالحك، نظرت في وجه حوّاس واجمة تناشد:

- صبراً.. أنت تنقلب.

لم يفهم حوّاس ما قالته العرّافة التي استمرت تنبش بظفرها وتحك بزهرة الخاتم، ثم بصقت بصقةً غليظةً في كفه سال بعضها على السجادة الزرقاء، لم يتمكن حوّاس من إفلات يده من بين أصابعها، وقد اشمأزّ، لكن الرائحة الذكية التي فاحت من البصاق هوّنت عليه. شعر بخدر يدب في كفه، ينتقل إلى زنده، ثم إلى عضده، حتى ينتشر في صدره ويدغدغ خلاياه. نال من جسده الخدر، أصابه دوار، لم يعد يقوى على الحراك، أضحى عجينةً بيد العرافة. حتى لسانه تخدّر، فما عاد بوسعه الكلام، أحسّ كأنه في عالمٍ آخر.

استلت العجوز من جيبها منديلاً أزرقَ، منتّف الأطراف، مسحت راحة حوّاس من بقايا البصاق بهدوء ورِقّة، كأنها تمسح الندى عن أوراق زهرة. ارتسمت على فمها بسمةً صغيرة، راحت تكبُر، كلّما مضت في المسح أكثر، حتى لمع ناب الذهب في فيها، منفرجاً عن بسمة كبيرة.

- وُلِد حظك أيها الفتى.

قالت العرافة لحوّاس المخدّر من سمت رأسه حتى أخمص قدميه، وأردفت:

- أنت منذ هذه اللحظة إنسانٌ آخر.

بالكاد تمكن من أن يهز رأسه كبندولٍ نافياً، ليوحي أنه لا يفهم ما



تقوله. أو ليرفض ما تهجر به فئات النبي هذه؛ فأوضحت:

- أعلمُ أنك لا تفقه ما أقوله لك، ولا تستوعب الفكرة، أنت أشبه بامرأةٍ عاقرٍ تُبشّرُ بأنها حُبلى.

حلّت يده فعادت إليه قواه فجأة، تنفس الصعداء، أدرك أنه لا زال على قارعة الطريق، سمع أصوات منبهات المركبات في الشارع العريض، المرصوف بأشجار بلّلها مطر خفيف، شم رائحة الكباب التي تفوح من المطعم المجاور، فلسعه الجوع من جديد.

نظرت إليه العرّافة من خلال ثقوب الخمار الدقيقة، عدّلت جلستها وبدأت تلقّنه:

- سأرشدك إلى سعدك، لكنني أشترط عليك شرطاً، ما دام مفتاح القفل في حوزتي.

هزّ حوّاس رأسه أسفاً، على موقفه الذي يزداد ضعفاً، أردفت العرافة:

- ليس كل الناس أشراراً كما تتخيل، الشرط الذي سأشترطه بمقدورك وحدك الوفاء به، أو النكث إن بغيت.

- لكنني لا أملك شيئاً.

- في جيبك ثروة كبيرة سنتقاسمها.

ضحك حوّاس حتى اهتز كتفاه المرهقان، وقرقر بطنه من أثر الجوع، أخرج من جيبه شطر الدينار، وقال:

- شطرٌ من دينار كل ما لدي، خذيه إن شئت.

نظرت العرّافة إلى شطر الدينار، تناولته من يده بذهول، شمته بعمق، حتى كادت تشفطه من أنفها، سألت:

- من أين أتاك؟

كتم حوّاس ضحكة، واستدرك بشيء من الاهتمام:

- من رجلٍ عجوزٍ رافقني في القطار.



تمتمت العرافة بكلماتٍ لم يفهمها حوّاس، بدت كمن يستسمح شبحاً غاضباً. استغرقت دقيقة أو بعض دقيقة، قبل أن تستعيد وضعها الأول، تنفست بصعوبة واضحة، لهثت كأنها تتسلق مرتفعاً، ثم هدأ أوارها. أسندت ظهرها إلى الحائط، أعادت شطر الدينار إلى حوّاس الذي دلسه في جيبه، قالت له وهي تمسك بأطراف أصابعه:

- اليوم ستلتقي بشخصٍ قوي متين، سيكون معك كالعفريت مع علاء الدين. ستدير المفتاح في يمناه، وتطلب منه ما تتمناه. سينفذه لك على الفور، بكلماتٍ خضر. سوف يتكرر اللقاء مراراً، وفي كل مرة سيتأهب لتلبية رغبة جديدة.

- هل هو عفريت المصباح؟

قالها حوّاس ضاحكاً، فردت العرّافة حازمة:

- بل هو عفريت الخاتم... (أطلب ما تريده، أصدر أوامرك له وكأنك سيده، ثم آمن بما تريد إيمانا راسخاً لا يتزعزع، وإياك وخيبة الأمل والشكوك، ما عليك إلا بالإيمان ثم ستحصل على ما تريده).

أكدت وهي ترص على أصابعه:

- سنتعاهد معاً على أن نقتسم المكافأة المالية، التي سيمنحك إياها الليلة مناصفة.

- وكم سيمنحني؟

- باستثناء أمنيتك التي سيحققها، سيهبك مكافأة مالية كبيرة. عليك أن تقسمها بيني وبينك، وإن خنت العهد حلّت عليك لعنتي.

فكر قبل أن يجزم مضطراً:

- سأقسمها.

- أقسِم على ذلك برب الحظ السعيد.

- أقسم لك برب الحظ السعيد.



قالها وهو لا يدرك سر مقولته، ابتسمت العرافة وتمتمت:

- (سوف تصبح غداً نتيجة الأفكار التي تساورك اليوم، لذا عليك أن تفكر بإيجابية لتكون إيجابياً. لا شيء مستحيل، فكل ما يمكنك استيعابه في ذهنك تستطيع إنجازه بيديك). أنظر إلى نفسك أنت ترتعش وتفكر بالبرد، لذا ستحصل على المزيد من البرد. سوف لن تتوقف عن الارتعاش حتى تفكر بالدفء، الأمر كله متعلق بالجذب. (أنت خليفة الله في أرضه، وسر الكون مغروز فيك، ولا تحتاج إلا لمفتاح تديره لتبدأ الحياة).

وضعت يدها على كتفه كمن يحمّل شخصاً حملاً ثقيلاً على عاتقه، وقالت:

- سأعطيك مفتاح سعدك.

نزعت الخاتم عن خنصرها الأيمن، وألبسته إياه في خنصره الأيمن، وشددت:

- ما إن تلامس زهرة الحظ السعيد التي في الخاتم، يد الرجل القوي، حتى يسخره الكون لتلبية رغبتك، عليك أن تكون قد استحضرت أمنيتك حينئذٍ.

- أين سأجد هذا الرجل؟

- هو من سيجدك... ما عليك سوى الترقّب.

وضعت العرافة يدها على رأس حوّاس؛ فغاصت أصابعها تدعك فروة رأسه الأشعث، تمتمت بكلماتٍ غريبات، لم يفهم منها شيئاً، أغمض عينيه مسترخياً من دعابة أصابعها لرأسه الذي بدأ يدور، ويدور، حتى خرّ غافياً في مكانه.



(7)

على لكزٍ أوجع خاصرته، فزّ حوّاس، فانتبه إلى شرطي غاضب يقف عند رأسه ينهره:

- قم أيها المتشرّد.

التفت حوله يبحث عن العرافة، لكنه لم يجد أحداً، كان رأسه مصدوعاً من الجوع وجسده مشنجاً من البرد، ظنّ للحظة أنه كان يحلم، فرك عينيه بقبضتيه فوخز الخاتم جبهته، نظر إلى الصليب المعقوف كزهرة فضة، منقوشة أعلى كأس الخاتم فوق العقيقة البنية.

- ألا تفهم ما أقوله لك؟ أغرب عن وجهي.

قال له الشرطي وهو يلزّه بهراوته على بطنه الخاوي، نظر إليه حوّاس متفحصاً، من أسفله إلى أعلاه وسأله:

- أأنت الرجل القوي؟

كتم الشرطي ضحكته، ربت بهراوته السوداء المبرومة على راحته اليسرى متوعداً:

- قوي أكثر مما تتصوّر، وإن لم ترني عرض كتفيك، فسأنهال عليك بهذه الهراوة حتى أحطم أضلعك.

ارتعد جسد حوّاس النحيل فزعاً، حين رأى الهراوة ترتفع فوق رأسه، وقبل أن تهوي عليه فرّ مدبراً لا يلوي على شيء، متخبطاً في الفضاءات المتناثرة أمامه، يتردد خلفه صياح الشرطي وصدى توعّده. خيّل له أن الشرطي يلحق به ليمسكه، خطر بباله أنه سيعتقله بتهمة سرقته خلخال أمه؛ ليزجه في السجن، ها هو ذا شرطي آخر أمامه، هناك ثالث... رابع... عاشر، بدا له أن كل شخصٍ في الشارع يرتدي بزة الشرطة، حتى النساء نظرن إليه بشزر، كنَّ يرتدين بزات الشرطة الخُضر،



ويضعن على رؤوسهن قبعاتِ صوفٍ سود. تجنب أن يصطدم بأي شرطي أو شرطية، كانت الشمس قد قاربت على المغيب، والمركبات متباطئة بسبب الزحام، فلاحت له أضواء المركبات متراقصة الصفرة، مدورةً، كخلاخيل ذهبية تنظر إليه باستياءٍ.

أخذ الصداع منه كل مأخذ، أحس بجوعٍ مفرط وبردٍ قارس ولهفةٍ ملحةٍ إلى الموت. تخيّل أمه تنتحب على خيبتها به، وأخاه الأصغر الذي طالما اقتدى به؛ منكوس الرأس، وأخته التي ظلت تلوذ به؛ بلا ملاذ. تذكر أباه المفقود في المجهول بين شعاب كردستان، بعد أن قتل ببندقيته عشرة كردٍ معارضين للدولة، قد يثأر لهم أي ثائرٍ ذات يوم.

ركض وسط الشارع باحثاً عن مركبة مسرعة لتنهي حياته البائسة، أقبلت إليه مركبة مهيبة سوداء مظلمة، لا يبين من زجاجها المعتّم شيئاً، فتح ذراعيه ليلتقيها بالأحضان.

توقف كل شيء... سقط حوّاس على ظهره بعد أن صدمته المركبة المرسيدس السوداء، توقفت لينزل منها رجلان ببزتين رسميتين، بينما بقي السائق خلف المقود، تراكضا نحو حوّاس، رفعاه عن الأرض بسهولة، أمسكه أحدهما من عضديه بشدة، وفتّشه الآخر بدقة، متجسساً كل بقعةٍ من جسده، حتى ما بين فخذيه. حين مدّ يده في جيب حوّاس، أخرج شطر الدينار، كظم ضحكته ثم أعاده إلى جيب الدشداشة. ركض صوب المركبة، حدّث شخصاً يجلس بجانب السائق:

- إنه متشردٌ يا سيدي.

- لا والله... أنا ابن عشائر، لست متشرداً.

بلهجة قروية صاح حوّاس، الذي بقي مقيّداً، عاجزاً عن الحراك.

انفتح باب المركبة الأمامي الأيمن بهدوء، حطت على الأرض قدمٌ تحتذي حذاءً كحلياً برّاقاً، تلتها القدم الأخرى، اعتلت إطار الباب



كفٌّ يسرى كبيرة، تمسك بقوة بين سبابتها ووسطاها بسيجارة فاخرة، يتصاعد دخانها بزهو. بان من وراء الباب بطلّته التي تبث الرهبة. وجهه الحنطي، شارباه الأسودان المنمقان بعناية فائقة يتوجان ابتسامةً لا تكاد تميّز من الوقار، نظرته الثاقبة، شعره الأسود المرجّل دُبراً، قامته الفارعة الممشوقة، بزته الكحلية، انصياع المحيطين به... إنه الرجل القوي بلا ريب، الرجل الذي أربك حوّاس غاية الإرباك، وهو يتجه صوبه بعد أن أومأ إليه بأطراف يمناه، سأله بثقة:

– من أين أنت؟

– من قرى كركوك.

ابتسم وهو يمز نفساً من دخان سيجارته، وينفثه إلى أعلى قبل أن يستطرد:

– ما اسمك؟

– حوّاس.

رصّه الرجل الذي كان يقيده، وهمس في أذنه:

– قل (سيدي) حين تتحدث.

فصاح حوّاس من فوره:

– اسمي حوّاس يا سيدي.

تمعّن به الرجل القوي، تذكر صبياً كان بذات هيئة حوّاس، بذات فقره وعوزه، لكنه كان صبياً شرساً، لم يكن منهاراً كهذا الذي يقف أمامه.

تلعثم حوّاس بعد أن أحسّ بهيبة الرجل القوي، فترجّل بشيءٍ من الكذب:

– أنا هنا بحثاً عن عمل يا سيدي، فقد اختفى والدي في المعارك مع (العصاة)، بعد أن قتل عشرةً منهم، وترك في رقبتي أمي وأخي وأختي لأعيلهم. ولم يُسجل أبي شهيداً في سجلات الجيش، بل صُنّف مفقوداً،



حيث لم يُعثر على ما يثبت مقتله أو أسره. ولم تصرف لنا مرتبات من الدولة منذ أشهر.

– أحقاً قتل أبوك عشرة (عصاة)؟

قالها الرجل القوي وضحك ضحكةً مميزة، لمع نابٌ ذهبي بين أسنانه. أومأ لحوّاس بالاقتراب منه، وأشار إلى أحد مرافقيه وهو لا يزال مبتهجاً:

– أعطه خمسة آلاف دينار، إكراماً لأبيه البطل... خمسمائة دينار عن كل عاصٍ... (عفية).

صفق يدَهُ بيدِ حوّاس مرحباً به على الطريقة الريفية، فارتدّت يد حوّاس منفلتةً من المصافحة، ثم تداركها فالتحمت يداهما. شد الرجل القوي على أصابع حوّاس بقوة، فجأة سأله:

– ما الذي تتمناه؟

أحس حوّاس بتيار كهربائي ينبع من الخاتم، يسري في جسده كالبرق. تذكر ما قالته العرّافة قبل قليل، وعجوز القطار ليلة البارحة، شرد بعيداً يبحث عن أمنية في قلبه المتخم بالأماني المحنطة، حتى أتاه قول الرجل القوي حازماً:

– حدد أمنيتك في هذه اللحظة.

– أريد أن أصبح صحافياً.

بلا شعور قالها حوّاس، وهو يفرز من عقله الباطن أمنية طالما تظلل بأفيائها. بناها على تعلقه بشخصياتٍ قرأ عنها وسمع بها ورآها، وعلم أن أبطالها نالوا من المتعة والشهرة ما لم ينله سواهم، ليس ذلك إلا لأنهم صحافيون.

– تُبشِر.

قالها الرجل القوي بثقة، أخرج من جيب سترته الداخلي قلمَ حبر بنياً، بغطاءٍ فضي، وفي ذات اللحظة ناوله مرافقه دفتر ملاحظات. راح



يكتب بحبرٍ أخضرَ:

« رئيسَ تحرير مجلة (ألف ياء)... يُقبل حامل الورقة (حوّاس مجبل) كصحفي تحت التدريب، راجياً تنمية قدراته».

ذيّل الورقة بإمضاء رشيق، عَلا عبارة (نائب رئيس الجمهورية).

(8)

خرج حوّاس جميل الشكل من صالون الحلاقة، برفقة أحد الحراس الشخصيين للنائب، الذي كُلف ليُعنى بحوّاس. قص الحلاق شعره الأشقر ورجّله نحو الخلف؛ ليتسع جبينه، وتبدو ملامحه أكثر نضجاً، وحلق شاربيه الخفيفين، بعد لأي من حوّاس الذي حاول الاحتفاظ بهما، إلا أن الحارس همس في أذنه، وهو يمسد بسبابته على شاربيه الكثيفين:

- لا بد من حلقهما كي يكثفا.

أمام صالون الحلاقة وقفت مركبة الحارس (سلام) السوداء بشموخ، تردد حوّاس قبل أن يركب، فاجأه سلام بعبارة زادت من إرباكه:

- تفضل يا أستاذ... اركب.

تلفت حوله، ظن أن العبارة موجهةٌ لشخص آخر، أعاده سلام من شروده حين نقر على سقف المركبة؛ منبهاً إياه:

- وراءنا مشاوير كثيرة الليلة... هيا اركب.

جلس حوّاس، لملم دشداشته بين ركبتيه، نصب ظهره لشدة توتره، ولتناثر بعض الشعيرات التي تشكه تحت الدشداشة. نقر سلام زر تشغيل المسجل، ألقم الجهاز شريط تسجيل، صدح صوت نسائي أجش بأغنيةٍ ريفيةٍ:



(جيت يَهْل الهوى... أشتكي من الهوى... أنا عدكم دخيل... من عذاب الخليل... آه كم آه... آهات يهل الهوى).

- سوف أصطحبك إلى منزلي، وأتركك لتغتسل، ريثما أجلب لك العشاء وبعض الملابس. يجب أن تهتم بمظهرك، لقد أمر السيد النائب بتغيير هيئتك.

هز حوّاس رأسه موافقاً، دون أن ينبس بكلمة، أضاف سلام بلمز:

- تنتظرك سهرة مميزة الليلة.

التفت إليه حوّاس، وابتسم مجاملة.

مرت لحظات صمت، علا خلالها صوت المطربة في المسجِل؛ (شسوا بية شعمل... يوم عني زعل... عندي ما ظل أمل). توقفت المركبة، ترجل سلام أمام منزله، فتح الباب الحديدي الأسود العالي، زأر الباب، أعاد سلام الإرباك إلى حوّاس:

- تفضل يا أستاذ.

وقف حوّاس وسط الغرفة الوردية، ناوله سلام بيجامة بيضاء مقلمة بخطوط زرق رفيعة، وملابس داخلية مكيّسة. أمسكه من رسغه، اقتاده إلى الحمام.

- اجلف جسدك بالليف والماء الساخن، لا تغادر الحمام قبل نصف ساعة، سأعود إليك لنتعشى معاً، ثم نخرج إلى الملهى.

استدرك سلام أمراً فعاد بعد أن أغلق باب الحمام، نبه حوّاس وهو ينظر إلى جيبه المتدلي:

- بالنسبة لمبلغ المكافأة، أتركه خارج الحمام لئلا يبتل... اطمئن فالمكان آمن.

غادر سلام، سمع حوّاس باب المنزل الحديدي يزأر، فتح ظرف الورق الأسمر، خمس رزم خضر، خمسة آلاف دينار، ثروة كبيرة فاحت



رائحتها؛ لتملأ أرجاء الحمام وتنعش أعصاب حوّاس، لم ير مبلغاً كبيراً كهذا طوال عمره. برقةٍ تحسس الرزم بأنامله؛ تأوّه، أغمض عينيه بانتعاش، تدافعت أمانٍ كثيرةٌ في رأسه، تزاحم أشخاص عند بوابة ذاكرته، أوصدها بوجوههم، ورتج على نفسه. يمكن لحياته أن تورق بهذه الأوراق الخضر، ضم الرزمة إلى صدره وتنفس الصعداء.

وضع الظرف في الزاوية القصوى، نزع دشداشته، جلس القرفصاء، كوّم الدشداشة البالية فوق الظرف؛ ليمنع عنه رطوبة البخار. دكها من كل الجهات، استمتع بفرقعة ورق الظرف. فجأة؛ لمح الخاتم في خنصره.

تذكر العرافة، وقَسَمه لها بأن يقسّم المكافأة المالية بينه وبينها. وإن خان العهد حلّت عليه لعنة العرافة. ضحك في سريرته، أيعقل أن يقسّم الخمسة آلاف بينه وبين امرأة لا يعرفها؟ ثم إنه لم يقسِم بالله، بل برب الحظ السعيد. ومن يكون هذا؟ لم يسمع به من قبل! رأى أنه في حِل من قسَمه. قال، كأنه يكلم طيفاً:

- لست مجنوناً لأفرط بنصف ثروتي، خشيةً من (رب الحظ السعيد).

رص الدشداشة البالية حول الثروة بتوتر، ووقف عارياً أمام المرآة الطويلة، نظر إلى صورته فيها، كان عارياً من كل شيء إلا الخاتم في خنصره الأيمن، أحس بثقله على جسده الهزيل. انتبه إلى أن عضوه مختفٍ، أصابته الدهشة لوهلة، ركز ملياً في المرآة، لم ير عضوه، نظر إلى جسده، كان عضوه منكمشاً على غير العادة، دعكه بيديه، مطه بأطراف أصابعه ثم تركه لينسدل؛ فعاد إلى انكماشه، عزا حواس الأسباب إلى الجوع الذي أنهكه. لم يلبث أن انغمس تحت مرش الماء الدافئ، محاولاً أن يزيح عنه أدران الأمس بوابل اليوم.

وسط الصالة المدفّأة، أمام شاشة التلفاز، جلس حوّاس على الأريكة مرتدياً بيجامة سلام، في حضنه الظرف الأسمر، تحت قدميه دشداشته



البالية نديةً بالبخار. ماثلةً أمامه العرافة، يتدلّى خمارها الأسود على جبينها وعينيها، مطرقةً تنظر إلى سجادتها الزرقاء بزرقة الغسق.

زأر الباب الحديدي الأسود، ولج سلام يترنم بكلمات الأغنية الريفية، بصوته الأجش بلحن مربَك الإيقاع، يزيده ربكةً أثر المشروب الذي احتساه في الطريق:

- (جيت يهل الهوى... أشتكي من الهوى... أنا عدكم دخيل... من عذاب الخليل).

وقف أمام حوّاس منحنياً بازدراء، ممثلاً هيئة المذنب، وقال:

- أعتذر يا أستاذ، لقد تأخرت عليك، كان الطريق مزدحماً.

وضع كيس الطعام على الطاولة، فاحت رائحة الكباب. وضع أكياساً أخرَ على الأريكة، نزع سترته، شجبها على ظهر كرسي خشبي مركون. بكفيه الكبيرين مزّق كيس الطعام إرباً، جر الكرسي الخشبي ليقابل حوّاس وينهم، بدا فمه أكبر من حجمه الحقيقي مرتين، صدح:

- سمّ باسم الله، أمامنا ليلة ساخنة، يجب أن لا نتأخر على الربع.

التهم حوّاس بشراهة، أبهره تل اللحم المقنطر أمامه، هذه المرة سيشبع بلا ريب، برغم فم سلام الكبير.

من بين فتافيت اللقمة، قال سلام:

- جلبت لك زياً رسمياً يليق بهيئتك الجديدة، يجب أن تظهر بمظهر مناسب غداً، حين نذهب إلى مقر المجلة، أنت مبعوث من قبل السيد النائب، الناس هناك سيحسبون لك ألف حساب.

رد حوّاس على سلام، باستغراب:

- لكنني أجهل المهنة، ما الذي سأعمله في المجلة؟

- هناك من سيتكفّل بأمرك، لا تقلق بهذا الشأن، كل ما عليك هو أن تبدو واثقاً من نفسك، وسوف تمشي الأمور على أحسن ما يرام.



أشار سلام إلى الكباب، أكد بشيء من الجدية المتضحة في عينيه الضيقتين:

- المهم الآن أن تشبع، لأن الليلة ساخنة.

ضحك سلام ضحكة ماجنة، رفع ذراعيه وأرجح كتفيه راقصاً. بدا فمه أكبر بكثير وهو يضحك، بان شارباه كفراء قنفذ، تطايرت فتافيت الكباب على المائدة.

(9)

طقم الملابس في غاية الأناقة، ينعكس لونه الأزرق الغامق على بشرة حوّاس، بينما ربطة العنق الباهتة الصفرة تحاكي لون بشرته فوق القميص الأبيض. الحذاء الجلدي الأسود، من ذات جلد الحزام، الجوربان الحريريان الأبيضان انزلقا بقدميه في جوف الحذاء بسلاسة منعشة. تنهد حوّاس وهو ينظر إلى نفسه في المرآة، دلس كفيه الصغيرين في جيبي البنطال، في حين أهطل سلام زخاتٍ من عطر (بروت) فوق حوّاس من كل الاتجاهات، وهو يتملق:

- أستاذ بمعنى الكلمة، لقد صدقت نبوءة النائب حين قال عنك؛ سيكون لك شأن عظيم.

التفت حواس إلى سلام متباهياً، وتساءل:

- أهكذا قال السيد النائب؟

هز سلام رأسه مؤكداً، داعب شاربيه بأنامله متفكراً، أردف وهو ينظر في سقف الغرفة:

- أنت شاب محظوظ يا أستاذ حوّاس.

أمسك بشعرة خارج سرب شاربيه، سلط نظرته عليها، نتفها وأتم:



- إن أحسنت التصرف، فسوف يعلو نجمك.

نظر إلى الشعرة باشمئزاز، ألقى بها باحتقار، عدل عقدة ربطة العنق الصفراء، ربت على كتفي حوّاس، استعجله:

- هيا بنا، ستفوتنا السهرة.

- ماذا عن الفلوس.

أشار حوّاس إلى الظرف الأسمر، أجابه سلام وهو يرتدي سترته:

- اعزل منها مائتي دينار، احملها معك لزوم المظاهر، وهات الباقي... سأحفظه لك في خزنتي حتى الغد.

مسّد سلام شاربيه أمام المرآة، نظر إلى حواس عبر المرآة، ابتسم وهو يقول:

- سوف تشرب وترقص وتضاجع على حسابي، لا بد أن تنتشي الليلة يا أستاذ، إنها الأوامر.

عدل عقدة ربطة عنق حواس مرة أخرى، أضاف بجدية:

- لا تنس، أنك محسوب على السيد النائب.

زأر الباب الحديدي الأسود، استقر حوّاس في مقعده داخل المارسيدس، غرز ظهره في مقعدها الوثير، أسند رأسه بعلياء. انطلقت المارسيدس تصدح فيها (زهور حسين):

- (جيت يهل الهوى... أشتكي من الهوى...).

تمايل سلام وهو يطارد كلمات الأغنية، كان يحاول مواكبة نبرة صوت المطربة، بلا جدوى، نبّه حوّاس:

- لا تفرط في الشرب، عليك أن تكتفي بالجعة؛ ما دمت تشرب للمرة الأولى كما ذكرت لي، أما النساء، فلا تقرب إلا ممن أشير إليها، القليل منهن نظيفات يا أستاذ.

- نظيفات؟!



ابتسم سلام بزهو، مسح طرفي فمه بسبباته وإبهامه، لمح:

- سوف تدرك هذه الأشياء بالممارسة يا أستاذ.

(10)

الإنارة الحمراء المتوهجة، والموسيقى الصاخبة في أرجاء ملهى (ليالي الأنس)، والأجساد المتمايسة على الدكة؛ كثعابين تطل من جِرار، كل ذلك يبعث على النزق. اندفع سلام متمايلاً مع إيقاع الموسيقى، يشق طريقه عبر الموائد المتناثرة في صالة الملهى، ساحباً خلفه حوّاس، حتى استقر بهما المقام عند مائدة في زاوية مظلمة. أربعة كراسٍ داكنة الحمرة، تحيط بالمائدة الخضراء المستديرة، فتاتان كانتا قد سبقتاهما إلى المائدة، لا تكاد ملامحهما تبين من الظلمة، عرّفهما سلام بحوّاس وهو يشير بيديه:

- وردة وسمر، أقدم لكما الأستاذ حوّاس.

قبّل سلام وردة، في أمارة إلى حظوته بها، بينما اكتفى بمصافحة سمر، رحبتا بحوّاس بحرارة. حين صافحته سمر، رصت بأصابعها على راحته، فداعب الخاتم حافة كفها، دبّت قشعريرة في بدنها. لم تراعِ قيد الانطباع الأول، استأذنت من وردة، وهي لا ترفع عينيها عن حوّاس:

- إفسحي لي المجال؛ لأجلس بجانب ضيفنا الكريم.

- ألم اقل لك إنك محظوظ يا أستاذ؟

أعلن سلام لحوّاس وهو يضحك، بينما عيناه تلوذان بكتفي سمر العاريين، وبساحل صدرها الهائج، لمح لحوّاس وهو يغمزه بطرف عينه مذكِراً:

- إذا غمزت صنارتك، فلا تتأخر في لف البكرة... السمكة نظيفة.

علّقت سمر فاضحةً انكشاف اللغز:



- نظيفةٌ جداً، لكنها مفترسة... سوف تلتهم الصياد.

علا الضحك حول المائدة، تقارعت الكؤوس وبودل الهمس.

مزيج من شعور عارم بالقلق والخيبة، ينز من كل مسامات حوّاس. بلع ريقه، مسح جبينه الندي خجلاً! تجلس بجنبه امرأة نصف عارية، يحتك فخذها بفخذه، تداعب أصابعها النحيلة كفه، تتلهف لتذوقه، لكن سواكنه لا تتحرك. عجيبة! هو الذي يهيجه اسم امرأة، وتطيح به رائحتها، كيف تأتّى له أن يحتك بواحدة دون أن ينفجر؟!

بخبرتها أحست سمر ما يجول في داخله، فخففت عنه:

- لا تقلق... إنها ردة فعل الاهتمام المفرِط، أظنها التجربة الأولى لك.

أشارت عليه وهي تقرّب منه زجاجة الجعة المنتصبة وسط المنضدة:

- اشرب قليلاً، سيساعدك ذلك على الاسترخاء.

تلبسه شعور بالعار، حين داعبه سلام مذكراً:

- ما بك يا رجل؟ أين فحولتك التي رويت لي عنها اسطورة دلال؟

- من دلال؟

تساءلت سمر، وهي تسحب يدها عن حوّاس.

أجابها حوّاس قاطعاً حبل الحديث، بابتسامة خجلى:

- مجرد حلم كنت رأيته في منامي.

لم تنفع زجاجة الجعة التي أفرغها حوّاس بجوفه اللاهب، في أن تحرك شهوته، لكنه أحس بحاجة ملحة لتصريفها في دورة المياه.

في المرحاض نظر حوّاس إلى مارده الذابل حد الضمور، بال وقوفاً، تابع بوله كأنه يخرج من ثقبٍ أسفل بطنه! استنكر الفاجعة التي لم تمر به من قبل في حياته، ارتجف جسده. رغوة بول كثيفة تقبّبت في فتحة المرحاض، لاحت حولها حلقةٌ صفراء كخلخال ذهب، ارتبك، هز وركه يمنةً ويسرة ليشتت الحلقة، تناثر شيء من رشاش البول على بنطاله.



- اللعنة... اللعنة... اللعنة.

رددها وهو يرشق الماء على بنطاله المتسخ، قفز وجه العرافة أمامه من فتحة المرحاض، صرخ بوجهه «إن خنت العهد حلّت عليك لعنتي». سحب سيفون المرحاض، ابتلع تيار الماء وجه العرافة، تردد الصدى مع هدير الماء «لعنتي... لعنتي.. لعنتي».

عاد إلى المائدة، مرهقاً متجهماً، وقفت سمر تنتظره على جنب، تتمايل مع إيقاع الموسيقى الذي هدأت وتيرته، رآها أسمن مما كانت عليه في ظلمة المائدة، تنورتها الحمراء القصيرة الضيقة، ذات الشق الجانبي، تكاد تُفصح عن سروالها الداخلي؛ قالت وهي تمد ذراعيها العاريين نحوه:

- دعنا نرقص.

مد ذراعيه معتذراً:

- لا أعرف.

سحبته نحو المرقص، همست في أذنه:

- الأمر أسهل مما تتصور، ما عليك إلا أن تحاكي الموسيقى بجسدك.

حين بدءا بالرقص، شجعته سمر:

- ها أنتذا تجيد الرقص، كأنك راقص عتيد.

ألصقت بطنها الأهيف ببطنه، سحبها من خصرها ليزيد الالتصاق، تأوهت، غمزت وردتي أنفها المعقوف، ابتسمت ملء وجهها، سألته:

- أتشتهي مضاجعتي؟

- بلا أدنى شك، أجهل الحالة الغريبة التي أمر بها.

زادت ابتسامتها اتساعاً، حتى كادت تطفح خارج وجهها المستدير، وزاد بطنها التصاقاً، كادت تخترق بطن حوّاس الذي أحس باضطراب لذيذ في جسده. نضدت صدرها على صدره، تنهّدت، حاذت فمها



بفمه، لفت ذراعيها العاريين بحميمية حول رقبته، بعد أن أحكمت ذراعيه على ظهرها. أسندت جبينها على جبينه، فانسدلت خصلات شعرها على جانبي وجهها، كستار مسرح يخفي خلفه استعدادات لمشهد حاسم.

دق أنفها المعقوف بوابة أنفه الأفطس اللاهث، وراحت تهدّ بقايا صبره:

- سأعريك الليلة... وأتعرى لك، وأراقصك هذه الرقصة، في غرفة لوحدنا، وسنرى كيف لا ينتفض ماردك؟!

تأجج في صدره لهيب الرغبة القاتلة، صعد اللهيب إلى رأسه، لكنه لم يحرك سواكنه السفلى. برغم محاولات سمر التي تذيب الصخر.

- لا بد أن نذهب الآن.

قالت سمر، وهي تقوده نحو المائدة، حيث وجه سلام مغروس تحت أذن وردة، ووجهها يفوح انتشاءً، قالت سمر:

- هيا بنا إلى البيت، لنكمل سهرتنا هناك.

(11)

الشارع شبه خالٍ بعد منتصف الليل بساعتين، الدوار يطوح برأس حوّاس، أرخى ربطة عنقه، فك زر ياقة قميصه، ترنّح، شعر بحاجةٍ إلى التقيؤ. جلس في المقعد الخلفي بجانب سمر، إذ جلست وردة في المقدمة بجانب سلام، مستمتعةً بسيجارتها التي ألهبت فيها الحماس. انطلقت المركبة، صدح صوت (زهور حسين):

- (... آه كم آه... آهات يهل الهوى).

توقفت المركبة، أفاق حوّاس على زأرة الباب الحديدي الأسود القوية،



الليل يجعل الأشياء أضخم حجماً وألذ طعماً من حقيقتها. أغلقت سمر باب غرفة النوم، وقف حواس كصنم أجوف، سحبته من ربطة عنقه بيد، ولوحت بزجاجة النبيذ التي أتت على آخرها باليد الأخرى. خلعت سترة حواس، قبّلته، طالت القبلة، علقت شفتاها بشفتيه، بينما أصابعها تعالج الربطة وأزرار القميص. شدت الحزام بقسوة، ساعدها حواس على فكه، بعد أن أرخى الشريط الذي يشد كنزتها تحت إبطيها البضين، فوق نهديها النافرين. ارتخت الكنزة القطنية الحمراء، جرها نحو خصرها لتكشف عن صدرها وبطنها. فكت سحّاب بنطاله.

كانت شفتاها لا تزالان تلعقان شفتيه، حين جمدت أصابعها عن الحراك، وشفتاها عن اللعق، وأنفاسها عن التأوه. فلا يزال المارد غافياً، برغم الألعاب النارية!

- تبدو مريضاً يا عزيزي.

قالت سمر وهي تسحب كنزتها نحو صدرها اللاهث، شدت الشريط لتلجم خيبة الفورة. عدّلت شعرها، قرصته بالمشبك، أضافت بعينين ذابلتين:

- عليك أن تراجع طبيباً مختصاً.

في الصالة كان سلام ووردة مسترخيان على الأريكة، يلملمان شظاياهما المتناثرة من الإنفجار الأول، يحاولان استثمار النصر بتفجيرٍ آخر، بادرها سلام بالسؤال:

- بشّري.

- لا نفع فيه ولا دفع!

كتمت ضحكة هازئة، تمتمت بازدراء:

- هل أرد لك المال الذي منحتنيه لقاء الليلة؟

بجدية أجابها سلام:



- احتفظي به لليلة قادمة.

ضحكت بفجور، وهي تلكز خاصرة وردة العارية، علّقت:

- إن كانت ليلة معك، فلا أمانع.

ضربتها وردة على ردفها ناهرةً، وهي تضحك بزهوٍ، خرجت الفتاتان تدمدمان، زأر الباب الحديدي بخجل.

دخل سلام غرفة النوم، كان حوّاس لا يزال عارياً إلا من سرواله، مطرقاً خجَلاً. جلس سلام بجانبه، أطرق محاكاةً له، تمتم:

- هوّن عليك... سنزور الطبيب في أقرب فرصة.

- لا داعي لذلك... علتي ليست عضوية... إنها لعنة.

التفت سلام إليه:

- أية لعنة؟!

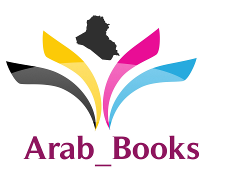
- دع عنك هذا. لنهتم بما هو أهم.

(12)

- من هنا لطفاً.

تقدمت فتاة رشيقة أمام سلام وحوّاس، تمشي بخفة لتقودهما، تجتاز ممراً ضيقاً جدرانه باهتة الخضرة، مفروشاً بسجاد أخضر. استدارت نحو اليمين لتقف عند باب خشبي، علقت فوقه قطعة من النحاس، طرزت عليها بخط أسود أنيق، كلمتا (رئيس التحرير).

طرقت الباب ثلاث طرقات، ثم فتحته عن غرفة واسعة، دافئة، تلتف في أركانها عرائش اللبلاب، متسلقةً بهدوءٍ نحو سقفٍ مزركش بنقوشٍ مغربية. توزعت في أركان الغرفة أرائكٌ وكراسٍ أنيقة فخمة، ذات سيقانٍ ملتوية، وفروٍ وثير.



في وسط الغرفة، وقف رئيس التحرير، خلف منضدةٍ من خشب الزان، ملساء بنية عريضة، تصطف عليها أدوات مكتبية راقية بانتظام مفرط. كان يكلم شخصاً مهماً عبر الهاتف، بالغ بالاحترام وهو يودعه بكلام منمق، أغلق سماعة الهاتف الأسود، استدار حول المنضدة بابتسامة رشيقة:

- يا مرحبا بكما... نورتما المكتب.

- مرحبا أستاذ حسن.

صافحه سلام بحرارة، وقدّم له حوّاس.

- الأستاذ حوّاس، من طرف السيد النائب، وقد كتب لك هذه الورقة.

ناوله الورقة المذيلة بتوقيع النائب بالحبر الأخضر، قرأها رئيس التحرير باهتمام، أشار إليهما ليجلسا قبالة منضدته، على كرسيين متقابلين:

- كنت أتحدث تواً، مع مكتب السيد النائب.

أعقب وهو ينظر إلى حوّاس، ويربت على كتفه:

- يبدو أنك محظوظ يا بني... سأرتب أمر تدريبك لتصبح بعد فترة وجيزة صحفياً مهماً.

- سأجتهد لأكون عند حسن ظنك.

أجاب حوّاس بحماس، فرد عليه رئيس التحرير وهو يعود إلى كرسيه:

- المهم أن تكون عند حسن ظن السيد النائب، إنه ينتظر النتيجة كما بُلِّغت.

ضغط رئيس التحرير على زر الاستدعاء، دخلت مضيفة مكتنزة، تحمل قدحين من الماء البارد، تضع على رأسها شالاً أسودَ، تزيحه بارتخاءٍ نحو الخلف، على وجهها ابتسامة دافئة. سألتهما وهي تقلب نظراتها بينهما:

- ما الذي ترغبان بشربه؟



- قهوة مضبوطة لو سمحتِ.

أجابها سلام، وهو يمعن النظر في جسدها المختمر، الذي يكاد يمزق ثوبها الرمادي القصير.

- وأنت يا أستاذ؟

نظرت إلى حوّاس الذي تمتم:

- كذلك.

أمرها رئيس التحرير:

- بلغي الدكتورة حوّاء بالحضور.

أومأت برأسها وهي تنسحب:

- حالاً.

وصلت حوّاء بعد القهوة بدقيقة، ترتدي قميصاً أحمر وسترة وبنطالاً سوداوين، لتكسر العتمة بشالٍ من الصوف ناصع البياض يتدلى على جانبها الأيسر، يفضح بروز نهديها وانسياب بطنها. شعرها الذي قصته حد كتفيها، بان أكثر كثافة بلونٍ رمادي، عاكساً لونه على عينيها الخضراوين وبشرتها الخمرية. أنفها المدبب الصغير، وقف كعصفور يحاول أن يحط على عش فمها المكور المكتنز. لا يمكن أن يصدق الناظر إليها أنها على أعتاب الخمسين، جسدها الممشوق كعود خيزران يوهم بأنها لم تدنُ من الثلاثين بعد، كذا وجهها الذي لم تخطّ عليه السنوات تجعيدة واحدة. كأن السنين غفلت عنها طوال عقدين من الزمن!

وقفت عند الباب، قالت بنبرة حادة:

- أبعثت في طلبي يا أستاذ؟

نهض رئيس التحرير مرحباً بها:

- تفضلي يا دكتورة حوّاء... أريد أن أوكِل إليك مَهمة لا ينجح فيها سواك.



جلست على أريكة قرب باقة زهر، غاصت في فرو الأريكة البني، فاح عطرٌ أخّاذ في أجواء الغرفة، عقدت ساقاً على الأخرى، شبكت أصابعها على فخذها، سألت بحزم:

- ما هي؟

قام رئيس التحرير ليلتف حول منضدته، جاهد أن يخفي قلقه من حجم المهمة، واجه الدكتورة حوّاء عن قرب، قال وهو يضع يده على كتف حواس:

- حوّاس عجينة خام، يجب أن يتحول إلى (صحفي) في زمن قياسي.

- يجب؟!

قالتها بابتسامة ساخرة، وهي ترص ما بين حاجبيها، وتعدل جلستها.

- نعم يجب... فالأمر صادر من جهات عليا... من السيد النائب شخصياً.

قال كلماته الأخيرة، وهو يرص على أسنانه، ليوحي لها بضرورة إظهار الاهتمام. فترت ابتسامة الدكتورة حوّاء الساخرة، أرخت حاجبيها، لاحت ابتسامة قبول واستسلام على شفتيها:

- لا بد أن يكون موهوباً إذن.

- مهمتك اكتشافه، وخلقه كصحفي.

أضاف وهو يعود إلى مقعده:

- أنا أثق بك يا دكتورة... ابدئي منذ اللحظة فضلاً.

نهضت الدكتورة حوّاء، بدت كنخلة عتيدة، استأذنت بالانصراف وأشارت لحوّاس:

- اتبعني.

مشى خلفها بضع خطوات، دخلت غرفةً منزوية في آخر الممر، لم



تعلق فوق باب الغرفة قطعة دلالة. تبعها حواس بانضباط، أشارت إلى كرسي خشبي بجانب طاولة مستديرة صغيرة، نُظِمت عليها مجموعة أوراق بيض، ارتكز فوق الأوراق كوبٌ خشبي منحوت يدوياً، من غصن شجرة جوز معمرة، حوى قلمي حبر جاف، أزرق وأحمر.

- تفضل بالجلوس.

جلس حواس منتصباً، عدّل ربطة عنقه، بدا عليه التوتر، قالت له وهي تسند كفيها على خاصرتيها أمامه:

- (حوّاس)... اسم مقرف.

تجهم حوّاس، قبل أن تضيف الدكتورة حوّاء:

- اللطيف في اسمك، أن بدايته تتوافق مع بداية اسمي... حوّاء، حوّاس.

لاحت على محياه ابتسامة:

- إذاً فيمَ القرف؟

- في منشأ الاسم.

أسندت كفيها بثبات على المائدة المستديرة، تأرجح نهداها، أوضحت:

- (حوّاء) منشؤها الحياة، (حوّاس) منشؤه الحرب، أي الموت... فشتان ما بينهما.

مطت شفتيها المكتنزتين، تنهدت قبل أن تحسم:

- يجب أن نبدأ من اسمك... سنغيّره.

- أغيّر اسمي؟!.

صرخ، وهو يضع يديه على المنضدة.

- هوّن عليك، ليس الاسم سوى بصمة طبعها علينا شخصٌ ما، لغاية في نفسه قضاها، لسنا ملزمين بالحفاظ عليه طوال العمر. من المثير أن يكون لك أكثر من اسم، واحد بصمه أحدهم عليك، وآخر تبصمه



أنت على ذاتك، وثالث يصممه محب.

استرخى في جلسته، أرخى ربطة عنقه، تأوه:

- أتجدين هذا الأمر مهماً؟

- جداً... سوف تتغير شخصيتك تبعاً للاسم المختار. هل ستختار اسماً؟ أم أختار لك؟

بقيت متسمرة في وقفتها، حك حوّاس مؤخرة رأسه:

- أنا في حيرة، فقد تفاجأت... اقترحي شيئاً.

- (وسمان).

رفع حاجبيه، مط شفتيه بإعجاب:

- أنا؟!

- نعم... عليك أن تنسى منذ اللحظة شخصاً اسمه (حوّاس)، أنت وسمان، يجب أن توطّن نفسك على هذا.

- الاسم غريب.

- ما الغرابة فيه؟ وسم الأمس، يمكننا أن نأخذ منه العبرة... ووسم اليوم يمكننا أن نرسم من خلاله ما نشتهيه للغد، الغد حصيلة ما نفكر فيه اليوم، نحن نخلقه كما نشاء.

كلام مألوف، سمع مثيله من قبل، تذكر رجل القطار، والعرافة.

مدّتْ حوّاء يديها نحوه، ساندةً جذعها على حافة المنضدة المستديرة الصغيرة الفاصلة بينهما. تدلى نهداها كناقوسين تناطحا فقرعا قرعة بدء النزال، تلعثم وسمان قليلاً، راحت الدكتورة حوّاء تفك عقدة ربطة عنقه. تأرجحت سلسلة ذهبية تطوق رقبتها، لم يكن وسمان قد لاحظها من قبل! وسط السلسلة مثلثان ذهبيان صغيران متساويا الأضلاع، تقابلَ رأساهما ليشكلا جناحا فراشة، همست بهدوء:

- مظهرك مهم للغاية، فهو يعكس الانطباع الأول عنك لدى



المقابل، حتى يبيت من الصعب عليه تغيير هذا الانطباع لاحقاً؛ إن ثبت له العكس.

سحبت ربطة العنق فانسلت عبر ياقة القميص، رنّ بينهما صوت احتكاك الربطة بالياقة، استعدلت بقامتها الفارعة، أضافت وهي تطوي الربطة بعناية، وتضعها على المنضدة المستديرة:

- للعمل أزياؤه، كما له قواعده، سأعدّ لك منهاجاً تدريبياً نبدأ به من الصفر.

- هل سيشمل أشياء عدا الصحافة؟

- سيكون للصحافة نسبة ضئيلة، لأنها لا تستوجب الكثير. المهم أن أنمي ذكاءك الاجتماعي.

مستغرباً قال وسمان:

- كيف سأكون صحفياً إذن؟

- أسمعت عن مسابقات ملكة الجمال؟

فتح زر ياقة قميصه الأعلى، ابتسم بنشوة، هزّ رأسه بطرب:

- إنها ألذ المسابقات إلى قلبي، شاهدت تقريراً عن آخر دورة في التلفاز، منذ أسابيع.

- هل لاحظت أن ملامح الوصيفة، أجمل من ملامح الملكة؟

تسرّع في الجواب:

- نعم صحيح... واستغربت كيف فات ذلك على لجنة التحكيم، بينما الشخص العادي يلاحظ الفرق.

أضاف بسذاجة، وهو يتذكر جلسة نقاش جمعته بابن الشيخ:

- هل للوساطة علاقة بالأمر، كما قال لي أحد الأصدقاء؟!

ضحكت الدكتورة حوّاء، استدارت حوله، وقفت خلفه، أسندت زنديها على كتف الكرسي، لامست كتفه بثقة، قربت وجهها من أذنه



اليسرى، أحس بذوائبها تدغدغ عنقه، لفح نفسها خده، فكر بشهوته، لكنه لم يشعر بمارده الخامد، همست الدكتورة حوّاء:

– السبب الذي تجهله، ويجهله الكثيرون يا وسمان، هو آلية التحكيم... أترغب في أن أشرح لك؟

ابتلع ريقه قبل أن يؤكد:

– قطعاً.

استقامت بنشاط، مشت باتجاه منضدتها، مد وسمان أصابعه ليتفقد مارده، بعد اللفحة الساخنة، صعق من خمدة المارد الخالدة! همس:

– اللعنة.

– ماذا؟

تساءلت الدكتورة حوّاء، وهي تحمل كرسيها لتضعه قبالة وسمان:

– ما الذي تلعنه؟

– شيء ما أفتقده منذ يومين، لا أعلم أين ولّى!

– إهمله، سوف يعود إليك.

ركّزت بصره نحوها:

– أويعود؟

– طالما أنت تفكر في غيبته فلن يعود، المفروض أن تفكر في حضوره، وسيحضر.

تحسست سلسلة الذهب بسبابتها قبل أن تضيف:

– المسألة تتعلق بالجذب.

استلت ورقة من تحت كوب الخشب، وفتحت غطائي القلمين الأحمر والأزرق.

أمسك وسمان برسغها الأيمن، لم تحرك ساكناً، نظر في عينيها:

– أي جذب؟



- إنها نظرية علمية، تتحدث عن علاقتنا بالكون، وعن كوننا مغانيط، نجتذب من الكون ما نفكر فيه.

أرخى أصابعه عن يدها الممسكة بالقلمين، عادت إلى الورقة تخطط وتكتب، بينما لا زالت تتحدث عن الجذب، وعيناها على الورقة:

- الحياة تدور في أفلاك، فكّر فيما تفقده اليوم وسيعود إليك غداً، أبهى وأكمل مما كان عليه، كل ما عليك هو تركيز فكرك والانتظار... سيعود حتماً.

رفعت عينيها لتنظر في صلب ارتباكه، أتمت:

- سواءٌ كان ما تفكر فيه جميلاً أو قبيحاً، فالأمر سيان، فكر به، وسيأتيك.

هز وسمان رأسه، فرك وجهه، أراد أن يمحو عن فكره تراكمات مربكة، احتوته الدكتورة حوّاء وهي تشير إلى الورقة التي خططتها بالأحمر وكتبت عليها بالأزرق:

- لاحظ هذا المخطط، يقيّم جمال المتسابقة من خمسين درجة، يشمل تفاصيلها من قمة رأسها حتى أخمص قدميها، وليس للوجه إلا نسبة محددة من هذه التفاصيل. أما الخمسين الأخريات، فتشمل الفكر والذكاء. لذا فإن الوصيفة التي رأيتها ذات وجه أجمل، تفوقت على الملكة في ملامح الوجه، بينما الملكة فاقتها في الفكر والذكاء، وهذا ما لم يعلن على الملأ، إذ يركز الكثيرون على وجوه المتسابقات وأجسادهن المتقاربة غالباً.

- لم أنتبه إلى ذلك من قبل.

نقرت بالقلم على الورقة، لتؤكد:

- ركز معي الآن... ذات المعيار ينطبق على الصحفي، خمسون درجة تمنح حول القدرات الإعلامية، أما الخمسون الأخريات، فتمنح



للعلاقات الاجتماعية، حيث يشاهدها العامة مثل وجه المتسابقة، إذا استطعت بذكائك الاجتماعي أن تحوز على معظم هذه الخمسين، فسوف تتفوق في نظر العامة على كبار الصحفيين، أما المختصون في التقييم، فلا تحمل همهم، إذ لا يعيرهم العامة شأناً.

هزّ وسمان رأسه، ككرة مضرب تطبطبها الدكتورة حوّاء التي أردفت:

- بذكائك الاجتماعي، وبجولاتك الميدانية، تستطيع أن تكون أشهر من رئيس التحرير، الذي لا يفارق مكتبه.

- وماذا عن الكتابة.

- يصعب أن تتعلمها بسهولة، تلك ملكة، إن لم توهبها فلن تتمكن من خلقها. لكنني سأسألك؛ هل تجزم بأن ما تقرأه لكاتبه؟

فغر وسمان فاه، فاجأه السؤال، وصدمه إيضاح الدكتورة حوّاء وقد ألقت بالقلمين في كوب الخشب، وأسندت وجهها على راحتيها:

- معظم كبار الكتاب لديهم محررون، ينقّون كتاباتهم، لتخرج على الملأ ناضجة.

أرجحت سبابتها في وجه وسمان نافية:

- لا تغرنّك المظاهر.

مسحت براحتيها حافة المنضدة الناعمة، نظرت في عيني وسمان، قالت:

- سأخبرك بسر.

التم وسمان فوق المنضدة، أهرق اهتمامه معلناً:

- سأحفظه.

التمت أمامه على المنضدة الصغيرة، تركت مسافة حرف بين شفتيها المكتنزتين، وشفتيه الرفيعتين، ركزت عينيها بعينيه، ازداد الاخضرار تألقاً، توترت أنفاسه وهو يسمعها:



- تحتاج إلى 10 % من الكفاءة.

صمتت، كأنها تريد أن تمنح الجزء المتبقي من كلماتها أهمية أكبر، انسابت نظرتها على أنفه الأفطس، لبدت على شفتيه المفغورتين، قذفت في فيه بقية السر:

- و90 % من الحظ... وأنت تملك الحظ.

تسلقت نظرتها برفق حول وردتي أنفه المحمرتين، لاحظت أن أنفاسه توترت، ونظرته غارت بعيداً... في عمق الصدع الملتحم ما بين نهديها، تساءل بلا وعي:

- ما أدراك؟

- أنا من قتّات الأنبياء.

فز وسمان من غفوته، انتصب واقفاً، مفغور الفم والمنخرين والعينين... صاح:

- من أنت؟

ببرود قاتل، قالت حوّاء وهي تتجه إلى منضدتها:

- الدكتورة حوّاء آدم... موعدنا غداً في التاسعة، هنا، في هذه الغرفة... يمكنك الانصراف الآن.

هم وسمان بمغادرة الغرفة، حمل ربطة عنقه المطوية، لاحظ بجانب الباب، فوق أزرار الكهرباء ومنظم المروحة، صورة كبيرة مؤطرة بإطارٍ أنيق، لرجل عجوزٌ يرتدي هنداماً أبيض، يضع نظارة ذهبية الإطار، يبتسم بشاربين مثلثين ابتسامته كبيرة، تشفّ عن نابٍ ذهبي يلمع بين أسنانه البيض. ذهل وسمان، وهو يقرأ في زاوية الصورة كلماتٍ بخطٍ جميلٍ، وحبرٍ أخضرَ (أبي... نحن معاً برغم المسافات).

التفت إلى حوّاء التي كانت قد اقتربت منه، وهمست:

- إنها صورة أبي.



باغتها بالسؤال:

- أين هو الآن؟

- في عالمه الآخر، مات منذ خمس سنين.

كان حواس على يقين مطلق أنه أمام صورة رجل القطار، فسألها:

- أأنت متأكدة؟

تنافرت ملامح حوّاء من فجأة السؤال:

- قطعاً.

أضافت وهي تدلك كتف وسمان:

- يبدو أنك مرهق... سأنتظرك صباح الغد.

(13)

الكاميرات منصوبات في ثلاثة أركان، مفارز أمنية ذات تعامل صارم قطعت شارع (الرشيد)، منعت المركبات من سلوكه، دققت في تفتيش أي مواطن يسبله، حققت في هوية الجميع. أصحاب المحلات بُلّغوا قبل يوم بغلق محلاتهم، والوقوف أمامها؛ للاستفادة منهم في المشهد الذي سيُصوَّر.

المخرج (توفيق المصري)، يبالغ في رص نظارته ذات العدستين الكبيرتين، اللتين تمسان أرنبتي أنفه المعقوف، معبراً عن إفراط قلقه من الموقف. اعتاد كل يوم أن يبذل جهداً كبيراً للخروج بأفضل ما يمكنه، فميزانية الفيلم مفتوحة؛ ما يعني أنه بلا قيود مادية، وخبرته الفنية عالية؛ تعزز ثقته بنفسه، ومعه نخبة من خيرة الفنانين، متعاونون معه لإنجاح الفيلم. ليست هنالك من مشكلة، سوى (صالح)!

الأمر مختلف هذا اليوم! التوتر والارتباك بادٍ على الجميع، إنه اليوم



الثالث من أيام تصوير مشهد (شارع الرشيد). أعيد التمثيل أكثر من عشر مرات، لإتقان الحركات في المشهد. غيّرت زوايا الكاميرات مراراً، بات المخرج مطمئناً من الناحية الفنية، لكنه يخفي قلقه من مفاجآت صالح.

- كل شيء جاهز.

قال المخرج ذو القامة الربعة، والشعر الأشيب الجعد، للرقيب الموفد من رئاسة الجمهورية، الذي واكب تصوير المشهد منذ ثلاثة أيام، أضاف المخرج:

- هل نبدأ التصوير؟ أم ننتظر الضيف الكريم؟

انزوى الرقيب جانباً، نادى بجهاز لاسلكي أسودَ كبيرٍ:

- من (5 - 1) إلى (1 - 1) الطعام ناضج، أكرر، الطعام ناضج، أجب.

بعد بضع ثوانٍ جاءه الرد واضحاً عبر اللاسلكي:

- من (1 - 1) إلى (5 - 1) جهّز المائدة، أكرر، جهّز المائدة.

التفت الرقيب نحو المخرج، أشار إليه بقبضته المرصوصة وإبهامه المنتصب ليبدأ. جاهد المخرج منذ ثلاثة أيام على تقبل الأوامر من هذا الرقيب، ذي الزي الأسود، والقميص الأسود، وربطة العنق السوداء، والنظارة السوداء. حتى شارباه الكثيفان كانا مضمخان بالسواد القاتم، ما يمنع تسرب البسمة على وجهه الأسمر الخشن، ذي السحنة القاسية.

جاء (رجل الظلام) هذا، كما يحلو للمُخرج أن ينعته نكاية، منذ ثلاثة أيام، يحمل بيده رسالةً رسميةً ممهورة بشعار رئاسة الجمهورية، تمنحه سلطة مطلقة للسيطرة على فريق العمل، خلال تصوير مشهد شارع الرشيد ضمن فيلم (النضال الأخير)، المشهد الذي يروي محاولة اغتيال الرئيس الأسبق، نفذتها مجموعة معارضة لنظامه، بضمنها شاب قروي. برغم فشل المحاولة، وهروب الشاب من حبل المشنقة، إلا أنه يعود ليواصل نضاله على طريقته الخاصة، ويتسلق المناصب الرفيعة، متسلسلاً



حتى بلوغه القمة متربعاً على كرسي رئيس الجمهورية، بعد عشرين سنة من محاولة الاغتيال التي شارك بها.

حمل مساعد المخرج مكبر الصوت، نادى على الجميع:

- استعداد... استعداد... كل شخص في موقعه، سنبدأ التصوير.

بعد دقيقتين، في تمام الساعة الثالثة من عصر يوم الثلاثاء السابع من تشرين الأول 1979، بدأ تصوير المشهد الذي تأخر عن موعده المحدد في السيناريو لأكثر من شهر، بناءً على رغبة السيد الرئيس، في تصوير مشهد محاولة الاغتيال في ذات الساعة وذات اليوم الذي وقعت فيه. شعر السيد الرئيس، كما أعلن للرقيب حينها، بأن المشهد سيكون أصدق حياةً، وأكثر خلوداً.

الجميع يتلقى أوامره من الرقيب (رجل الظلام) عدا صالح، الذي يصدر أوامراً للرقيب. صالح الذي يمثل دور البطولة في الفيلم، هو ابن عم السيد الرئيس، التقى به المخرج في مسقط رأس الرئيس، خلال جولة معايشة قبيل البدء بإخراج الفيلم. كان اللقاء مدبراً، برغم أنه بدا عرضياً للمُخرج.

ظل صالح متعِباً للمُخرج، طوال مراحل التصوير، بالكاد توصلا إلى لغة تفاهم. كان يعارض المخرج في أمور دقيقة، بحجة أنه ابن عم الرئيس والأدرى بتفاصيل حياته. حاول المخرج إفهامه أن المسألة تحتاج أفقاً فنياً إلى جانب الأفق التاريخي، لأن الفيلم سيطرح على نطاق عالمي، لا بحدود القرية.

توقع البعض من المشرفين على الفيلم أن يحضر السيد الرئيس شخصياً ليتابع التصوير النهائي لمشهد محاولة الاغتيال، كان وسمان من القلة الذين تسربت إليهم هذه المعلومة، عبر سلام، فاجتمع مع حوّاء لتضع له خطة.



(14)

أخذ الممثلون مواقعهم، اصطف أصحاب الدكاكين على جانبي الشارع، ليمثلوا دور الجماهير، وقد تلقوا توجيهات من المخرج فيما يخص مظاهرهم، بعد أن عوضهم بسخاء عن خسائرهم المحتملة جرّاء غلق دكاكينهم.

أمام الكاميرة، تقدمت مركبة الزعيم – الرئيس الأسبق – تمخر الشارع ببطء سلحفاةٍ تخب على ساحلٍ رملي، يحفها الشعور بالأمان والرضا. يمد الزعيم ذراعه الممشوقة ليحيي جماهيره التي عادةً ما تحتشد مستقبلةً منقذها من دياجير الملكية.

جلس السيد الرئيس في منصة أعدت خصيصاً له على الرصيف، يراقب تصوير المشهد، يستظل بمظلة مهيبة، أفخم بكثير من أن تستخدم لبضع دقائق. عادت به ذاكرته المتقدة كالجمر، عشرين عاماً إلى الماضي. تذكر المهمة التي كُلف بها من قبل قيادته الحزبية آنذاك؛ لقتل الزعيم. تذكر استماتته حينها؛ لأخذ دور البطولة التاريخية خلال تنفيذ المهمة، تجاوزه على الخطة المرسومة؛ كيما يحقق مأربه، الدهشة التي شدهت الجماهير المحتشدة حينها، وابل النار الذي رشقه على مركبة الزعيم، الرصاصة التي صوبها مرافق الزعيم نحوه فاخترقت ساقه اليمنى، معجزة إفلاته من قبضة السلطة حين وقع رفاقه في الفخ.

تنهد السيد الرئيس، شهق نفساً عميقاً من سيجارته الكوبية، ركض الممثل كنمر أمام مركبة الزعيم السلحفاة، توقفت السلحفاة، أخفت رأسها وأقدامها في جوفها، رشق النمرُ السلحفاةَ بوابل من رصاص بندقيته، بدت فوهة البندقة كفم تنين لاهب، تفطّر درع السلحفاة، أطلق مرافق الزعيم من مسدسه رصاصات طائشة، استقرت إحداها في ساق النمر.



- اقطع.

صاح المخرج توفيق، صفق الرئيس بحرارة تحت مظلته الفخمة، منبهراً بأداء ابن عمه الدور بإتقان. بدت بسمة الرئيس كبيرة واضحة، برغم السيجارة التي يعضها بنابيه الأيسرين، تواصلت ضحكته المقهقهة بضع ثوانٍ، أومأ لمرافقه الأقدم، أمره وهو يقهقه:

- نادِ على صالح.

- أمرك سيدي.

وقف الشاب العشريني، المنتسب إلى فوج الحماية الخاصة بالسيد الرئيس، أمام ابن عمه، رئيسه، باسماً يبلل الدم الصناعي بنطاله. وقف أمامه الرئيس بقامته الفارعة، صافحه الرئيس بحرارة على طريقته البدوية، صفق كفه بكف صالح، وهز ذراعه، وهو يطري:

- عفية... أداؤك حقيقي، لقد أفرحتني، أنت تذكرني بمحاولتي لنصرة الحق على الباطل.

تنفس الصعداء، ردد بشرود:

- عفية... عفية... عفية.

ضبّط الرئيس لفة الشماغ الذي يلفه على رأسه لفة تميز أفراد عشيرته، دلس إبهاميه ما بين بطنه والحزام الذي يرص خصره تحت القميص. زها بوقفته تحت خيمته الحريرية، ذات عمود الخيزران.

تلعثم صالح، حاول مجاراة نشوة الرئيس، قال بشيء من الزهو والتملق:

- نعم يا سيدي... كانت محاولتك تلك، قدحة الصاعق التي فجرت الثورة فيما بعد.

مط الرئيس شفتيه، ورفع حاجبيه، إعجاباً بعبارة صالح، علق وهو ينفث الدخان نحو السماء:



- أحسنت التعبير.

التفت إلى مرافقه الأقدم، أصدر أمره:

- يمنح الملازم الأول صالح رتبة نقيب... إنه يستحقها.

- أمرك سيدي.

بدت البهجة جلية على ملامح صالح، التفت الرئيس إلى أحد المرافقين، كلمه بنبرة تنم عن مسرة:

- سلام.

وثب سلام أمام الرئيس ممتثلاً لأي أمر.

- نعم يا سيدي.

- أين الصحفي صاحبنا؟ قلت لي إنه سيحضر اليوم.

- إنه موجود يا سيدي، إسمح له أن يمثل أمام فخامتكم.

أومأ الرئيس برأسه وهو يمز سيجارته، أومأ سلام لوسمان، هرول وسمان نحو المنصة، مبتهجاً بما جناه بخمسمائة دينار أهداها لسلام؛ كيما يرتّب له هذه اللحظة.

وقف وسمان بابتسامة كبيرة أمام الرئيس، كأنه صديق قديم، ضحك الرئيس حين رآه، حتى اهتز كتفاه، رفع يده عالياً صفقها بيدِ وسمان، مرحباً به على الطريقة الريفية، ارتدّت يد وسمان منفلتةً من المصافحة، تدارك وسمان الحركة فالتحمت يداهما. شد الرئيس على أصابع وسمان بقوة، تنفس الصعداء، قال باسماً:

- كيف حالك؟ يبدو أنك لحمت.

- الحمد لله يا سيدي، كله من خيراتك عليّ.

- أريدك أن تجري مقابلة صحفية مع صالح، حول دوره في الفيلم.

- سأكتب شيئاً يعجبك يا سيدي.

سحب الرئيس نفساً عميقاً من سيجارته، بينما لا تزال يمناه تصافح



يمنى وسمان، تنهد الرئيس، سرت قشعريرة في بدن وسمان، كان منشؤها الخاتم... همس الرئيس:

- ما الذي تتمناه؟

- أن أعمل في المكتب الإعلامي الخاص بسيادتكم.

هيأ وسمان عبارته هذه، قبل أن يلتقي بالرئيس، وفقاً لإرشادات الدكتورة حوّاء.

- لك هذا.

قال الرئيس باسماً، ثم أمر وهو يولي جانب وجهه لمرافقه الأقدم:

- امنحوا صديقنا مركبة جديدة.

- أمرك سيدي.

ولى وجهه شطر وسمان من جديد، هز رأسه بتفاءل شهق نفساً عميقاً من سيجارته، ونفثه نحو العلى. ترك يد وسمان، غادر المنصة يتمشى بخيلاء أسد، يحيي الجماهير، تراكض حوله وبين يديه أفراد حمايته كالضباع، هتفت له الجماهير التي كانت قبل قليل تحيي الزعيم الأسبق «بالروح بالدم نفديك يا رئيس». لوّح لهم بذراعه الممدودة وأصابعه المتفرقة، مصوّباً حافة كفه نحوهم بدل راحة يده. سلك موكبه الدرب الذي كان من المقرر أن يتمه الزعيم، بيد أن مركبة الزعيم تباطأت عن المضي، بينما مركبة الرئيس لم تراعِ مشاعر الجماهير الحاشدة، على حساب أمن الرئيس.

رتب وسمان حاله، فعرض على صالح إجراء المقابلة في شقته التي تتوسط (الكرادة)، حصل وسمان من المخرج على عدة لقطات انتقى منها صورة للغلاف، كان الغضب يرتسم على ملامح صالح في الصورة، وهو يوجه صوب الكاميرة بندقيته التي تنفث من فوهتها شعلة نار، تحاكي دوي الصرخة التي يطلقها من فيه.



سهرت الدكتورة حوّاء ليلتين متتاليتين، لتصقل كلمات المقابلة على أروع صور البيان، وأفخم مفردات البلاغة، لم تضع حساباً للقراء بقدر ما وضعت حسابات لقارئ واحد مميز، تتسلل إلى عقله لتدغدغ مشاعره. المبلغ الذي دفعه لها وسمان، مقابل تحرير المقابلة، كان كفيلاً بأن يدفعها لتعتصر أفكارها وتقدم المميز؛ فخرج عدد المجلة مزداناً بالمقابلة التي أثارت الأقاويل في أروقة الصحافة الوطنية.

(15)

تسنم وسمان منصبه الجديد في المكتب الإعلامي الخاص، وأصبح مقر عمله الصباحي في رحاب القصر الجمهوري، تمتّنت عرى المودة بينه وبين صالح، وقد بات الاتصال بينهما شبه يومي. استنسخ وسمان مفتاح شقته وترك النسخة مع صالح؛ ليقضي لياليه الحمر، في منأى عن أعين فريق الأمن الخاص، الذي يتابع حركات وسكنات ابن عم الرئيس.

تمادى وسمان في كرمه، راح يغدق على صالح بفتيات الليل، برغم الألم الذي ما برح يعتصره بمرارة، كلما نقد إحداهنّ أجرة ليلتها، لاسيّما حين تراوده عن نفسه؛ فيستعصم.

سأله صالح ذات ليلة، وهما يحتسيان كأسين من العرق، بينما كانت سمر تستحم بعد صولة غرام صالها معها صالح:

– أستغرب منك! كيف تقاوم هذه الأجساد ببرودك يا وسمان؟ ملامح وجهك تشي بالرغبة، بينما جسدك لا ينم عن حركة، ما السر في ذلك؟!

بتهكمٍ وتملقٍ موارى خلف ستائر الخجل، رد وسمان:

– لا يمكنني أن أشارك معاليك بهن، إن الأجساد التي يسطرّ عليها



قلمك بطولاته، حَرية بأن تبقى خالصةً بلا هوامش.

جلجلت ضحكة صالح، حتى كادت تهز الصالة، ضحك وسمان بألم... قال صالح وهو يتلفظ أنفاسه:

- أيها الملعون... إنك تجيد التعبير، أكاد أصدقك برغم ادعاءات سمر حول ماردك الخامد.

هز وسمان رأسه خجلاً، تمتم وهو ينظر إلى سمر التي خرجت من الحمام تلف جسدها الندي بمنشفةٍ زهرية:

- عليكِ اللعنة.

دلست سمر طرف المنشفة بين نهديها، ضبّت ما التف منها تحت إبطيها، مسّدت ما تسربل حتى أسفل ركبتيها، بينما لفت شعرها البني بمنشفةٍ صغيرةٍ بيضاء، يتجعّد في طياتها زهر أصفر.

نظر صالح في عيني وسمان نظرةً جادة، طرح سؤاله مباشراً:

- هل تشتهيها يا وسمان؟

- إطلاقاً... أنا أشتهي أشياءَ أخرَ، بتن النساء في منأى عن مشتهاي.

- أجادٌ أنت فيما تقول؟

ابتسم وسمان بمكر، أمسك يد صالح، جسّ ارتجافها، أدرك انفعاله، سأله:

- أراكَ مهتماً بسمر... اطمئن من ناحيتي يا صديقي.

- أريد أن أستخدنها.

كبرت ابتسامة وسمان، حين لمعت في رأسه فكرة؛ فاجأ صالح:

- ستكون هذه الشقة هديتي لكما.

انتصب صالح واقفاً، اقترب من وسمان مذهولاً، فرد يديه باستقامة وتسمّر، بدا كمصلوب أمام وسمان، قال بهدوء:

- قم لأعانقك أيها الصديق.



نهض وسمان تتلألأ الفكرة في رأسه، عانق المصلوب، زقزقت الفكرة كعصفورٍ شبعان، مثُلتْ أمام عينيه في أفق قريب كقوس قزح... اقتربت أكثر باتت كقوس نصر.

(16)

(شركة صقر العرب)، بالخط الديواني الملتوي، لمعت الحروف الذهبية المبرّزة على اللوحة السوداء، المعلقة فوق بوابة من خشب الساج، منمنمةً بمرايا صغيرة ملونة، توحي بأسرار تخفيها خلف صمتها الضاج.

على غير العادة، لم تبن اللوحة اسم المدير أو رقم هاتف يسهّل إجراء اتصال، أو حتى مجال تخصص الشركة. الأمر الذي أكد لأصحاب الشركات المحيطة بها، والبعيدة عنها، أنها شركة ذات هوية مستترة، لها علاقة ما بالحكومة، وربما بالسيد الرئيس ذاته، الذي يزدان بألقابٍ رنانة، منها (صقر العرب).

دخل أصحاب الشركات المحيطة بشركة صقر العرب في دوامة من القلق والارتياب، بعد ان اختفى تاجر كبير، يكنى (أبو الرز)، وهو صاحب شركة نافذة في السوق. لم يعلم أحد منهم مصير هذا التاجر، حتى وصلت لجنة من ديوان رئاسة الجمهورية؛ لتجرد محتويات شركته وتختم عليها بالشمع الأحمر، تمهيداً لمصادرتها.

شاع خبرٌ في الأروقة مفاده أن أبا الرز استورد كمياتٍ هائلة من الرز المنتهي الصلاحية، فصدر أمر بإنهاء حياته.

تهامس تاجران كبيران، وقفا مع حشدٍ من التجار، أمام مكتب شركة أبي الرز، في الباحة الكبيرة التي تطل عليها عدة شركات:

– لم نعرف عن صديقنا أبي الرز سوى الخير، أ تصدق ما يقال؟



- لا أصدق ذلك، إنه أمرٌ دُبّر بليل.

- لم تعد الأمور تدبّر في الليل، بل بات الرعاء يدبّرون كيدهم في وضح النهار، وأمام الملأ.

- أخشى أن تدور الدائرة علينا ذات نهار يا صديقي... علينا الحذر.

- الحذر لا ينفع في هذه الأحوال، ليس من سبيل إلى النجاة سوى الهروب من هذا الواقع.

- ثمة خيار آخر... أن نتزلّف إلى الرعاء لنتقي شرّهم.

- ذاك شأنك، أما أنا فسأنفذ بجلدي.

انتصب الرجلان مذعورين من نظرة قاسية، سلطها عليهما الرجل العابس، مدير شركة صقر العرب، حين وقف ليرحب بلجنة الجرد الرئاسية، ويستضيفها في شركته. رحّب التاجران الكبيران به، رددا بصوت واحد مرتبك:

- صباح الخير أستاذ وسمان.

لم يرد عليهما، دخل شركته يتبعه ضيوفه، أعضاء اللجنة الرئاسية.

(17)

انبهر صالح من الفخامة التي تتأجج في مكتب شركة صقر العرب، الجدران مطلية بدرجات متفاوتة من اللون الذهبي، سوى جدار واحد تغطيه بأكمله صورة السيد الرئيس. السقوف تزخ بالبياض على الأثاث الجلدي الأسود، ذي المساحات الشاسعات والطراز الحديث. المناضد واطئة من خشب الزان، المنحوتات والتحفيات انتصبت في أركان المكتب على رفوف مخصصات لها، الثرية الوهّاجة علّقت في مركز السقف المثمن الأضلاع، بدت الثرية كقنديل تدلى من سماء بيضاء.



أدوات المكتب متناسقة الألوان والأشكال، التلفاز ذو الشاشة الكبيرة يظهر الوجوه أجمل من حقيقتها.

فتاتان فارعتان، صارختا البياض، ترتديان تنورتين سوداوتين مُبالغ في قصرهما، وقميصين أبيضين أبتري الكُمّين. صارمتا الملامح، قصيرتا الشعر، تبدوان كتوأمين للوهلة الأولى.

وقفت إحداهما تحمل صينية من الفضة، تتوسطها زجاجة شمبانيا، عن يمين الزجاجة وعن شمالها شمخ قدحان ذوا رقبة رفيعة، حاكت شموخهما الفتاة الأخرى التي وقفت لتؤدي طقوس الخدمة.

فضَّ صالح بكارة الصمت بذهوله:

- أنت مخيف يا وسمان!

تناول وسمان زجاجة الشمبانيا من يد الفتاة، رجّها قليلاً قبل أن يفتح سدادتها احتفاءً بزيارة صالح. اندلقت رغوة كثيفة، من فوهة القنينة، أشار وسمان إلى الفتاة التي تحمل الصينية، قرّبتْ منه القدحين، سكب فيهما من فوهة القنينة، حتى ساح شيء من الشراب في الصينية.

رفع صالح تنورة الفتاة ذات التموجات الحادات، صفر مذهولاً مما تخفيه التنورة تحتها، لم تبدِ الفتاة أية ردة فعل، مد يده عميقاً وقرصها، فزّت وهي تبتسم له مجاملةً، قال:

- أسفي عليك يا وسمان، كيف لا تسرح في هذه البطاح؟

قدم له وسمان كأسه التي هدأت فورتها، نظر إليه بامتعاض وهو يرد:

- للذة مذاق مختلف من شخص إلى آخر، لكلٍ منا مجسّاته التلذذية، ومن خلالها يشعر بسعادة مطلقة، لا يشعر بها الآخرون.

رشف صالح قبل أن يعلّق:

- سعادتي المثلى بين ساقَي امرأة شبقة.

- ذلك لأنك تمتلك مجسّاً استشعارياً واحداً للتلذذ، مغروزاً بين فخذيك.



ضحك صالح، دعك مجسّه، أضاف وسمان:

- دع عنك هذا، ولندخل في صلب الموضوع الذي اجتمعنا من أجله.

أتى صالح على ما في كأسه، قال:

- تفضّل يا صديقي، كلّي آذان مصغية.

أومأ وسمان إلى الفتاتين، تركت إحداهما الصينية على الطاولة، انحنيتا معاً، انسحبتا برشاقة.

بدا وسمان رسمياً وهو يتحدث إلى صالح:

- أريدك أن ترافقني إلى فرنسا؛ لشراء بضائع، أجد أن السوق متعطشة إليها.

تناول صالح قنينة الشمبانيا، ملأ كأسه، تمتم بشرود:

- فرنسا؟!

قدّم له وسمان سيجارة كوبية، قدح النار من قداحة مذهّبة، أوغل في دس الفكرة:

- نعم فرنسا، مدينة النور وبلد الحسان، أ تعلم أنها أولى مدينة في أوروبا أضيئت طرقاتها بمصابيح النفط سنة 1828؟

بشرود همس صالح، وهو يشهق دخان سيجارته.

- كأنك تحدثني عن حلم.

- سوف نبقى أسبوعاً كاملاً، أعدك بأن تضاجع في كل ليلةٍ فتاتين.

نظر صالح في وجه وسمان دهشاً، قال بذهول:

- فكرة مبهرة، أنت قوّاد بامتياز.

ضحكا بانفعالٍ حتى اهتزت الأريكة، علّق وسمان:

- القوادة ما بين الأصدقاء؛ شرف ورفعة.

علا الضحك أكثر، لم تهدأ سَورة الضحك حتى عرّج وسمان:



- أحتاج إلى سلطتك ونفوذك؛ لإطفاء ضريبة الاستيراد.

قرب وجهه من أذن صالح، همس في أذنه:

- الفائدة، ستعمنا معاً.

لم يجب صالح، بدا عليه الوجل، نظر في قعر كأسه رأى بقايا رغوة، قال بحذر:

- ثمة ما تخفيه يا وسمان.

- نعم... ثمة مفاجأة لك هناك.

ابتسم صالح، نظر إلى وسمان وقال:

- دعني أرتب أمر السفر... بدأت تخيفني يا وسمان!

(18)

عبر شارع (شانزليزيه) المزدان بصفين من الأشجار الباسقات المعمرات، شقت مركبة البيجو طريقها باسترخاء، تصوّبت نظرات وسمان وصالح صوب قوس النصر المنتصب أمامهما بشموخ. أنصتا إلى شرح المرشد المترجم (سامر)، الأسمر ذي الشعر المبروم، والقامة الناعمة، والجذور التونسية:

- يقع قوس النصر في ساحة (شارل ديغول) المسمى بميدان (النجمة) سابقاً، يلتقي فيه اثنا عشر طريقاً، أراده (نابليون بونابرت) رمزاً يخلّد انتصارات جيوشه، فوضع حجره الأساس وبدأ ببنائه، إلا أن إنجازه الفعلي تم عام 1836 في زمن (لويس فيليب).

سأله صالح:

- كم يبلغ ارتفاعه؟

- خمسون متراً إلا خمسين سنتمتراً... كان في بدايته مركز نجمة تنطلق منه خمس جادّات، قبل أن تضاف إليه سبع أخريات.



تساءل وسمان حين مرقت المركبة من جوف القوس كسهم:

- علامَ تحتوي الجدران؟

- على ستمائة وستين اسماً، من أسماء قادة نابليون العسكريين، وستةٍ وتسعين اسماً من أسماء انتصاراته.

توقفت المركبة أمام الفندق، نزل وسمان من المركبة، أمسك بأردان صالح لينبهه:

- إحذر من اعتراض طريق النساء، وإلا وجهت إليك تهمة التحرش الجنسي، ولا تنس أننا بسبب موقعك الوظيفي مراقبان من قبل جهاز المخابرات العراقية بلا أدنى ريب.

ولجا بوابة الفندق، تبادلا الابتسام مع حاجب البوابة الذي بدا بزيه الفلكلوري كأنه جاء من عصر قديم، وبدت ملامحه كأنها لرجل من عصر لم يأتِ بعد.

(19)

أتم صالح فطوره، مطّ ذراعيه متمطيا، طلب فنجان شاي من النادلة السمراء ذات الابتسامة والعجيزة اللتين لا تفتران، قال لوسمان الذي كان منشغلاً ببعض الأوراق بين يديه:

- مضت ثلاثة أيام على إقامتنا، ولم تفاجئني كما وعدتني.

ناور وسمان في الرد:

- كيف تسير الأمور مع زوجي الفتيات، اللتين يزودك بهما الفندق؟

رد صالح وهو يؤرجح رأسه منتشياً:

- ليست هنالك لذة أعمق نشوة من مضاجعة أنثيين، إنها أطيب ما في الدنيا.



شرد ذهن وسمان بعيداً، لاحت في ذاكرته أشباح منهكة، لمعت أسنان من ذهب، في أفواه مظلمة، خرخشت خلاخيل ذهبية، تطوّق سيقاناً من عظام جرداء من اللحم... تأوّه وسمان، فرك جبينه، نظر إلى صالح الذي كان يتمتم بكلماتٍ فجة، دثّر عريها بإعادة سؤاله:

- لم تفاجئني كما وعدتني، أين وعدك يا رجل؟

- اليوم موعدنا معها، سيرافقنا المرشد (سامر) إلى مكان ما، هناك ستعرف أشياء كثيرة عنك.

- عني أنا؟

رد صالح مستغرباً، فأجابه وسمان واثقاً، وهو يتأهب للمغادرة:

- نعم عنك أنت... سنبرم العقد بعد ساعة مع مصنع مواد التجميل ومعمل الألبسة، ثم نترافق إلى وجهتنا.

(20)

صعد سامر عتبات سلم قصير ملتوٍ، محاطٍ من جانبيه بسنادين زهورٍ صغار ملونات، تبعه وسمان بخطوتين، تأخر عنهما صالح الذي علقت عيناه بعابرة سبيل.

طرق سامر باب الخشب الندي، فتح الباب شابٌ ذو ملامح آسيوية، يرتدي زياً يوحي بالدفء والطمأنينة، ابتسم وهو ينحني لهما بهدوء:

- تفضلوا سادتي الكرام.

دخلوا يتبعون الخادم الآسيوي، الذي تركهم في غرفة رُصّت فيها كراسٍ خشبية للانتظار. على أحد جدران الغرفة علّقت صورة كبيرة لمنظر البحر ساعة غروب، تتلاطم أمواجه على جرف صخري، فتحدث زبداً كثيفاً، كاد يجتاز زاوية إطار الصورة.



عاد إليهم الخادم، دعاهم إلى غرفة أخرى:

- تفضلوا هنا أيها السادة.

هناك جلست امرأة عجوز، مغمضة العينين، في صدارة الغرفة، خلف منضدة مربعة، مغطاة بشرشف غامق الزرقة. وسط المنضدة انتصب شمعدان قصير من الفضة، شكّت في مشكاته الوحيدة شمعة صفراء ملتوية، تأججت ذؤابتها بجذوة زرقاء. مدت المرأة ذراعيها على المنضدة باستقامة، جعلت راحتي كفيها نحو الأسفل، فرقت شعرها الفضي من المنتصف، تدلّت خصلتان طويلتان على جانبي وجهها، وضفيرة أطول انسابت كجذر بين كتفيها.

عُلّقت على الجدار المظاهر للمرأة لوحة بيضاء مستطيلة، ذات إطار أسود، كتب عليها بحروفٍ خضر، ما ترجمه سامر؛ (بعض الناس فقراء للغاية، لأنهم لا يملكون سوى المال) تحت العبارة، في الزاوية السفلى اليسرى من اللوحة، في مكان الإمضاء، رسمت وردة بأربعة أوراق. ركّز وسمان في الوردة، لاحظ أن صليباً ملتوياً شكّل الوردة. ثمة حروفٌ وأرقام صغار، كتبت تحت الوردة، لم يستطع وسمان تمييزها.

اصطفت بانتظام ثمانية كراسٍ على جانبي الغرفة، بينما كان ثمة كرسي واحد، في الجهة المقابلة للمرأة. أشار وسمان لصالح كي يجلس عليه. بدا الارتياب واضحاً على وجه صالح، طمأنه وسمان:

- سوف تقرأ لك مستقبلك، إنها عرافة شهيرة، تقرأ للملوك والرؤساء، والشخصيات البارزة من أمثالك.

جلس صالح بحذر، نقرت المرأة بأطراف أصابعها على المنضدة، نظر صالح إلى كفيها، قلبتهما فبدت راحتاها بغاية البياض، لمت أصابعها وفردتها في إشارة لصالح كي يمد يديه على امتداد يديها. شبك أصابعه في أصابع المرأة، وقف المترجم سامر عند رأس صالح؛ ليترجم له ما تقوله المرأة:



- يخلّد الزمن كل أبيض وكل أسود، أما الأشياء الرمادية فلا موطئ ذكرى لها. كن، أو لا تكن، هي فلسفة الزمن ليبقيك في ذاكرته، أو يلقيك في مزبلته مع الرماد... الرماديون هم جماهير الزمن، أما البيض والسود فهم قادته.

فغر صالح فاه، واستطردت المرأة:

- الخياران أمامك إن أردت الخلود، إما أن تكون أبيض، وهذا أصعب ما يكون، وإما أن تكون أسود وهو أسهل ما يكون، لكن العواقب ستصير وخيمة.

هز صالح رأسه مؤيداً، واستمرت المرأة إثر تنهد:

- بعد أن تحترف أدوار البطولة، يكون من المؤلم جداً أن تمثل دوراً ثانوياً. بيد أن الحياة هي من توزع الأدوار؛ لذا عليك باحتراف الصنعة لا باحتراف الأدوار، وأن تقدم الدور الثانوي باحتراف؛ كما قدمت أدوار البطولة.

رصت المرأة على أصابع صالح وهي تقول:

- حريٌّ بك أن تجري، بينما أنت مكتفٍ بالهرولة، كل من حولك يحسب لك ألف حساب، بينما أنت لا تعير نفسك أهمية، حتى من تهابه هو في حقيقة الأمر يهابك، لأنه وضع قلبه بين مخالبك.

تعرق جبين صالح، شدت المرأة بقوة على أصابعه، رصت أسنانها، جحظت عينيها، لاحظ صالح أن خرزتي عينيها قد اختفتا، فبدت بعينين بيضاوين حين قالت:

- أمسك بالصولجان أيها الرجل القوي، لا تفلته من يدك... سوف تتزوج ابنة الرئيس، حين يبتلع الحوت القمر، حينها... لا تفلت الصولجان.



(21)

تغيّر إيقاع العمل في مجلة (ألف ياء)، بات العاملون فيها يعيرون اهتماماً لرئيس التحرير من الناحية الفنية، ولوسمان من الناحية الإدارية. وحفاظاً على ماء وجهه وتاريخه المشرّف، وإدراكاً منه لأبعاد المأساة؛ لم يعد رئيس التحرير يجرؤ على اتخاذ قراراته بحق المقصرين، ما لم يحسب حساب ردة فعل وسمان، لئلا يتراجع عن قراره تحت الضغط، فتختل صورته في نظر موظفيه.

الدكتورة حوّاء، كانت الشخص الوحيد الذي يقف كسدٍ منيع في وجه وسمان، باتت المسيطر الأوحد على التوازن، ما بين رئيس التحرير و(السيد المشرف) ذي السلطة الرئاسية المهيبة. أدرك رئيس التحرير متأخراً، أن حوّاء في حقيقة أمرها هي العقل المدبر لوسمان، والمحرك الذي لا يهدأ أواره لنجاحاته المتتالية، لقد اوغلت مع وسمان بعيداً لجذب الحظ.

دخلت مكتبه، وقفت منتصبةً كسفينة باسمة، مشرعة ذراعها اليمنى كمرساة. أقبل وسمان يمشي الهوينى، انحنى ليطبع قبلة على المرساة، سحبته بيدها اليسرى من رأسه، عانقته بذراعيها العاريين، لفتهما حول رقبته، رصته بشوق جيّاش، لفّ ذراعيه حول خصرها، تراخا ذراعاه فاستندا على وركها المفرود بانسياب تحت تنورة الفيزون الفضية، قبّلته على خديه متسائلة:

- هل جرى كل شيء بحسب الخطة؟

- كأنك كنت معي في باريس يا عرابتي! كل شيء حدث كما رسمتِ له.

جلست على الأريكة الجلدية السوداء، انغرست في عمق السواد، بدت فضة التنورة متلألئة، خلاف القميص الأسود الذي ذاب مع الأريكة، ليظهر الذراعين العاريين، الممتدين على الوسائد الجلدية



السود؛ كشهابين ثاقبين يطاردان فلول وسمان المندحرة منذ سنين.

تناولت سيجارة كوبية من العلبة المنمنمة التي عرضها أمامها وسمان، وهو يقول:

- سارت أموري بشكل أفضل مما تخيلته، رأس مال الشركة أصبح أضعاف ما كان عليه قبل شهر.

نقر على زر الجرس، دخلت المضيّفة طلب منها فنجاني قهوة، انحنت المضيفة مؤتمرة قبل أن تغادر، استطرد يوضح لحوّاء بحرص:

- لقد شغّلت زوجة الرئيس بعض أموالها معي في الشركة، لا أكاد أصدق هذا.

ابتسمت حوّاء بمكر، أظهرت استغرابها:

- السيدة الأولى! كيف توصّلت إليها؟!

ضحك وسمان ضحكة متقطعة وهو يشعل عود ثقاب، وينحني كي توقد حوّاء سيجارتها، مزّت من السيجارة ثلاث مزّات قصار، دبت النار في لفائف السيجارة ببطء، تلألأت الجذوة، تأرجحت غيمة دخان أبيض مائل إلى الزرقة، جلس وسمان على حافة الأريكة، قال:

- بعد أن تزوج صالح من ابنة الرئيس، زادت أمواله التي تجذرت في أموال الرئيس، فنشطت تجارتي الخاصة بالألبسة ومواد التجميل التي أستوردها من أرقى المناشئ في فرنسا. أثار الأمر إعجاب السيدة الأولى، فطلبت مقابلتي، وعرضت عليّ مشاركتي في التجارة.

طرقت المضيفة الباب طرقات خِفاف، دخلت تحمل صينية من الفضة، عليها فنجانا قهوة وقدحا ماء، وقطعتا شوكولاتة فرنسية. انحنت برقّة، قبل أن تغادر.

أتم وسمان:

- إنها امرأة تعبد المال، وقد تمكنتُ من استيعابها خلال أسبوع، حين



أخبرتها بأنها ربحت ضعف رأس مالها في صفقة مفاجئة.

مطت حوّاء شفتيها مستغربة، استفهمت:

- هل بلعت الطُعم؟!

- بأسرع مما كنت أتصوّر، فقد سلمتني مفاتيح تنوء عن حملها عصبة من الرجال، مفاتيح خزائنها... إنها قارونة يا عرّابتي.

ضحكا ساخرين، أردف وسمان بعد أن رشف من فنجانه، وتنفس الصعداء:

- الأهم من الأموال التي سلمتنيها، كتب التخويل التي ستمكنني من اختراق أعتى الجدران وبلوغ مآربي.

- أخبار سارّة، بدأتَ تحرق مراحل من التقدم، وهذا إن أحسنتَ تدبيره؛ فأل حسن، سيجعلك في الصدارة قبل الأوان.

طبعت على خدّه قبلة، تخللها دخان السيجارة، استرسلت:

- لديّ أمر مهم... أريد أن أبينه لك.

هز رأسه بتساؤل، فتحت حقيبتها، أخرجت مفكرة جلدية الغلاف، وضعتها على المنضدة الواطئة بعد أن أزاحت فنجان قهوتها. فرَدَت المفكرة عند صفحة محددة بشريط أحمر فاصل، كان ثمة مخطط هندسي أولي غير دقيق، مرسوم بحبر أخضر، أشارت إليه، ثم نظرت إلى وسمان الذي حملق في المخطط، وراحت تشرح بإيجاز:

- قبل يومين أعلِن في التلفاز عن مسابقة ينظمها ديوان رئاسة الجمهورية، لتصميم نُصب للشهيد، وقد خطرت في بالي فكرة؛ طوّرتها لأصل إلى تصميم معبّر، وضعت خطوطه الأوائل هنا. أريدك أن تسعى إلى تطويره من الناحية الهندسية، وتستخدم نفوذك ومالك لإيصاله إلى مرحلة التنافس... ثم الصدارة.

تناول وسمان المفكرة ذات الجلد الأحمر الغامق، نظر في الخطوط



الخضر المستقيمة المتقاطعة، والأقواس المتداخلة. لم يفهم الكثير منها، أزالت حوّاء الغيوم عن أفكاره:

- يمكنك الاستعانة بمهندس منفذ، وشرح الفكرة له، سيتولى رسم الفكرة بمقاييس دقيقة، وصناعة مجسّم مصغّر وفق المقاييس... سوف ينبهر به الرئيس.

تنهد قبل أن يتساءل مستوضحاً:

- كيف سأربط الأمر بي؟ كوني بعيداً عن الهندسة.

بثقة أجابته حوّاء:

- أنت صاحب الفكرة، وكونك خارج الساحة الهندسية، فإن هذا سيضفي عليك قبولاً أكبر.

- ما الفائدة من كل هذا؟

وقفت حوّاء، أرادت أن تعطي الإجابة أهمية أكبر، نظرت صوب الثرية المعلقة وسط سقف المكتب، مدبرة بظهرها نحو وسمان، تنهدت قبل أن تقول:

- أن يُنصَبَ باسمك نصب في وادي الرافدين، فإن ذلك تخليد لشخصك لا يضاهيه أي خلود. الخلود هو هاجس الإنسان منذ خلقه الله، والموت هو القاهر الوحيد لهذا الحلم الأبدي، أصعب ما في الموت توقيته المفاجئ، الذي؛ بقدر ما يدفعنا إلى العمل، لا يسمح لنا بالخلود، لذا علينا أن نصوغ مِيْتة خالدة.

استدارت نحو وسمان ببسمة كبيرة، وعينين لامعتين، ووجه مصفر، أتمت:

- لا تنس أنك تلميذي... نجاحك نجاحي، وخلودك خلودي.



(22)

في قاعة كبيرة فخمة، وزعت النماذج المجسمة الخمسة، التي وصلت إلى مرحلة التنافس، بعد تحكيم دقيق طال أكثر من شهر. كل نموذج ارتكز على منضدة واسعة، مغطاة بشرشف فاتح الخضرة، تنوعت التصاميم في أشكالها ومدلولاتها وألوانها. وقف أمام كل تصميم صاحبه، ووقف وسط القاعة رجل وسيم، ذو قامة فارعة، وشعرٍ أسودَ لامع، وابتسامة جامدة. نظر الرجل بحذر صوب وسمان، الذي بدا بأناقة مفرطة في زي عسكري غامق الخضرة، ولفافة عنق حمراء. على خلاف بقية المصممين الذين حضروا بملابس مدنية أنيقة لمقابلة السيد الرئيس.

من خلف باب القاعة المهيب بحجمه ولونه البني ونقوشه الزهرية، أطل أحد مرافقي الرئيس بسحنة غاضبة، مشيراً إلى الرجل الوسيم بإشارة تفيد بوصول الرئيس.

على يمين وشمال الباب وقف حرسا شرف يرتدي كل منهما زياً أحمر مطعماً بالأبيض، وقلنسوة ذهبية مزينة بريش منسق، وحذاءً من الجلد البني؛ يمسك كل منهما رمحاً ذهبي الحربة. يخال للناظر إليهما أول الأمر أنهما صنمان، لانعدام حركاتهما. حتى النفس المتردد في صدريهما، لا يكاد يميز.

انفتح الباب على مصراعيه، دخل وفد من المرافقين والمصورين ورجال الحماية الخاصة بالرئيس، ثم دخل الرئيس، بزيه العسكري، ورتبته المحاكة بخيوط من ذهب، وقبعته السوداء المسرحة يميناً، وسيجارته الفاخرة في يده اليسرى. وقف عند مدخل الباب، جال بنظره في القاعة؛ متفحصاً وجوه المصممين الخمسة، توقف عند أوسطهم، الذي تصدر القاعة، فكان قبالة الرئيس، بزي عسكري ووقفة منتصبة. لم يبدُ مصمِماً، بل



بدا جندياً في ساحة معركة، موحياً بلفافته الحمراء حول عنقه أنه جاهز للنحر في أية لحظة.

توجه الرئيس بحزم نحو وسمان، كأن القاعة خلت من الآخرين، مشى الرجل الوسيم ذو البسمة الجامدة، المسؤول عن تنظيم المسابقة، بجانب الرئيس، متخلفاً عنه خطوة واحدة.

أمام وسمان المنتصب كصنم، وقف الرئيس، مز من سيجارته نفساً، لمع خاتم ذهبي في بنصره، نفخ الدخان في وجه وسمان الذي لم يرمش له جفن، أوعز له:

- استرح.

استرخى وسمان، ندت عنه بسمة خفيفة، حين قال له الرئيس مجاملاً، وهو يشير إلى النموذج:

- حياك الله... هل هذا تصميمك؟

- إنها فكرتي يا سيدي، وتنفيذ فريق من المهندسين المختصين في العمارة والديكور، يعملون في شركتي الخاصة.

هز الرئيس رأسه بإعجاب، وهو ينظر إلى المجسم المتناظر، الذي ضم مبانٍ متساويات الارتفاع، تشكل مع بعضها دائرة واسعة، مركزها مكعب أبيض شامخ، مثلوم بمثلثين منتظمين من جانبين متقابلين؛ قال الرئيس لوسمان:

- اشرح لي الفكرة بشيء من التفصيل.

استرق وسمان النظر إلى الرجل الوسيم، الذي اتسعت بسمته ودبت فيها بعض الحياة؛ أوحت بسمته أن الخطة سارت وفق ما أريد لها.

أمسك وسمان بعصا التأشير الرفيعة، وبدأ يشرح بتهذيب مفرط:

- سيدي الرئيس المفدى، قد يسأل سائل؛ لماذا يضحي الشهيد بحياته؟ ويتفرع البعض في الإجابة، فيقول من أجل الوطن والعرض



والمال. لكنني سأعود إلى أصل الإجابة وأقول، يضحي الشهيد بحياته من أجل الحياة. لأنه على قناعة تامة، بأنه سيخلد حياً يرزق عند ربه، وسيحيي أحبته حياةً كريمة مِن بعده.

هز الرئيس رأسه مؤيداً، استرسل وسمان:

- لذا ركزت جهدي على وضع رمز الحياة في هذا المجسم، وجعله سهلاً ممتنعاً قدر الإمكان، من خلال مثلثين متساويي الأضلاع، متقابلي الرأسين. يمثل المثلث الأول الرحم، وهو رمز الأنوثة، ويمثل المثلث الثاني رمز الفحولة.

ابتسم الرئيس معلناً عن بدء تقبله للفكرة، واقتناعه بها. مضى وسمان يشرح:

- سيدي الرئيس القائد، لقد تداركت الفكرة، وأردت أن أبين للناظر أنّ الشهيد ذو منزلة رفيعة عند الله، ولكن كيف يمكننا أن نجسد الله تعالى؟ لقد عمدت على تجسيد الأديان السماوية، من خلال تجسيد رموزها، فالكعبة رمز للإسلام، ولو أننا فككنا الكعبة بشكل منتظم، لتحولت إلى صليب، وهو رمز المسيحية. لذا جعلت الفكرة كلها عبارة عن مكعب يرمز للكعبة والصليب المحتضن إياها، يخترقه مثلثا الذكر والأنثى، رمز الحياة. وهنا سيسأل سائل أين هي اليهودية من مجسمنا؟ فأقول لو أن مثلثا الذكر والأنثى تعشّقا فيما بينهما، لنتجت عنهما نجمة داوود، وهي رمز اليهودية. إذن فالأديان الثلاثة تجسدت في هذا النصب، وأوحت بأن الحياة خالدة من خلال المثلثين، ليخلد الشهيد.

التفت وسمان إلى الرئيس، انتصب في وقفته وقال بزهو:

- دمتم للنضال سيدي القائد الضرورة.

ابتسم الرئيس، مد يده ليصافح وسمان، صفق يدَهُ بيدِ وسمان على الطريقة الريفية، فارتدّت يد وسمان منفلتةً من المصافحة، ثم تداركها فالتحمت يداهما. شد الرئيس على أصابع وسمان بقوة، سرت موجة



من الرعشة في جسد وسمان؛ نبعت من الخاتم. لمعت عينا الرئيس، وهو يسأله:

- ما الذي تتمناه؟

لم يتردد وسمان في أن يقول:

- أن ينال تصميمي إعجابك.

هز الرئيس رأسه موافقاً، رج يد وسمان وضحك ضحكته المتقطعة الرنانة، ثم استدار ليغادر القاعة، مشى بهدوء وهو يوعز لمرافقه الأقدم:

- أكرموا المصممين الآخرين بسخاء.

(23)

انطلقت سدادة قنينة الشمبانيا في الهواء، صفقت حوّاء لوسمان الذي بدا في غاية البهجة وهو يصدح:

- انتصرنا.

أمسكت حوّاء وجهه بين كفيها، طبعت قبلة على شفتيه، همست له:

- أنت تلميذي النجيب.

جلست حوّاء بانتشاء، تناولت بطاقة سوداء من وسمان الذي قال لها وهو يملأ لها كأسها:

- بهذه الهوية التي نلتها، سأحقق أحلامي المتبقيات.

دققت حوّاء في العبارة المنقوشة على ظهر الهوية، بلون ذهبي، قرأت وهي تحسو:

(تقدم كافة التسهيلات لحامل الهوية؛ من أجل إنجاز مهامه فوراً)، رئيس الجمهورية.

قالت بهدوء:



- كن على حذر شديد، خصوصاً في الفترة الأولى. سوف يخضعك لاختبار، إذا فشلت فيه ستهدم كل شيء، وإذا اجتزته بمهارة؛ فسيغض عنك الطرف، ويبيح لك المحرمات.

- سأكون حذراً.

- لدى الرئيس شعبة خاصة، مهمتها غربلة المقربين من الرئيس، وكتابة تقارير منتظمة عنهم، وقد فتح لك ملف في هذه الشعبة.

بمزحة قال وسمان، قبل أن يعب من كأسه:

- يبدو أنك تعملين في هذه الشعبة.

- ما يدريك؟ لعلي أنا من أسسها.

غص وسمان في كأسه، سعل بشدة حتى كاد يختنق. احمرت عيناه، لهثت أنفاسه، قال برهبة:

- أنت؟!

ردت حوّاء بهدوء وهي ترشف من كأسها:

- ما بك؟! أنا أمزح معك.

ابتسمت، غمزت له، التصقت بنحرها سلسلة ذهبية تطوق رقبتها، يتوسطها مثلثان ذهبيان صغيران متساويا الأضلاع، تقابلَ رأساهما، لم يشكلا جناحا فراشة، بل ذكراً وأنثى!

(24)

فرد جريدة (القادسية) بين يديه، نظر في الصفحة الأولى، ابتسامة السيد الرئيس خافتة في الزاوية اليمنى من الصفحة، بدا الرئيس قلقاً بزيه العسكري، وقد تراخت تحته عبارة «السيد الرئيس القائد يقاتل مع أبنائه الشجعان». قلب الصفحة الأولى، وقعت عيناه على كلمات كتبت



بحبر أخضر أعلى الصفحة الثالثة، قرأها أكثر من ثلاث مرات:

«أغنية أم كلثوم، ستذاع فجر اليوم، في الرابعة، كان أبي يميّل عقاله جانباً وهو ينصت إليها، أرجو أن تستمع إليها، اسأل عن الزمن، وسأمتنع عن التدخين... (51243)».

نهض منتصباً، نادى على حارسه الشخصي صارخاً؛ فجاء يهرول:

- نعم أستاذ... امرني.

- من الذي جلب الصحف؟

- جلبها بائع الصحف صباحاً يا أستاذ... كالعادة.

- إذهب الآن.

أومأ له بالانصراف، دمدم مع نفسه؛ «أ بعد كل هذا الانقطاع؟!».

أقلقته الرسالة المجفرّة، لم يكن قد تلقى مثلها منذ ما يزيد على السنتين، فكّر أن الأمر أخطر مما يدور في خلده.

في تمام الرابعة عصراً، على عكس ما بينته الرسالة المجفرة، دلف وسمان مقهى (أم كلثوم) في شارع الرشيد، وقف عند باب المقهى برهة، لسعه الدفء المنساب من موقد الشاي، شعر بلذته بعد أن ملأه برد الشارع المبتل من مطرة غزيرة، طالت يومين متتاليين. قلّب بصره بين وجوه رواد المقهى، كانوا زهاء عشرين رجلاً بينهم ثلاثة معقلّين، بحث عمن يعتمر عقالاً مائلاً، لاحظ رجلاً يلف يشماغه حول رقبته بتراخ، ويميل بعقاله يميناً، ظن أنه ضالته، توجه نحوه. ما إن اقترب منه، حتى أفسح له الرجل مكاناً بجانبه؛ وكأنه كان بانتظاره.

سلّم وسمان، جلس بتثاقل، فرك راحتي يديه ليستشعر بعض الدفء، رحّب به الرجل ببرود، دون أن يلتفت إليه:

- مسّاك الله بالخير.

رد وسمان برتابة، دون أن يلتفت إلى الرجل:



- الله بالخير.

صورة السيد الرئيس معلقة فوق كرسي صاحب المقهى، يرتدي زياً عسكرياً، ورتبة مهيبة، ابتسم حتى بانت نواجذه، ودس إبهاميه تحت نطاقه الذي رص بطنه. ظهر السيد الرئيس وحيداً واثقاً، في الصورة الملونة المعلقة على جدار رمادي.

أقبل عامل المقهى، عرض خدمته على وسمان:

- بمَ تأمرني يا أستاذ؟

- شاي حامض.

استرق وسمان نظره إلى الرجل الذي يجانبه، استرعى انتباهه شارباه الكثان، بدت سمرته غامقة، أخفت عيناه الغائرتان كلاماً مريباً، بيد أن رأسه المتأرجح، دل على أنه منسجم مع كلمات الأغنية التي تسربت من مذياع المقهى:

«دارت الأيام... مرت الأيام... ما بين بعاد وخصام».

امتزج دخان سيجارة الرجل بزفراته المتأوهة، بدا كعاشق متيّم. أدرك وسمان أن الرجل ليس ضالته، أدار الملعقة في استكان الشاي الحامض، بانفعالٍ ظاهر، أحس أن طقطقات الملعقة بالاستكان ترن في رأسه المثقل. قلّب بصره من جديد في وجوه رواد المقهى، ركز نظره في باب المقهى، ليرقب الدالفين أولاً بأول.

لمح ساعة جدارية فوق باب المقهى، أشارت عقاربها إلى الرابعة وخمسين دقيقة. انتابه الشك، إذ لا يُعقل أنه قد مضى عليه خمسين دقيقة جالساً يترقب، نظر في ساعة يده، وجد عقاربها تشير إلى الرابعة وعشر دقائق، أرجع بصره إلى الساعة الجدارية، احتار، ظن أنه قد وصل متأخراً عن موعده. التفت إلى الرجل الجالس بجانبه، ذي الشاربين الكثين، كانت السيجارة متدلية بين شفتيه الغليظتين، وقد تدلى رمادها



من طرفها، سأله وسمان وهو يشير إلى ساعته:

- كم الوقت عندك؟

أخرج الرجل السيجارة من فمه، أطفأها في المنفضة، التفت صوب وسمان، ابتسم ببرود، لمع ناب ذهبي بشدة بين شفتيه، وهو يتمتم بكلمات متعثرات:

- أقلعت عن التدخين.

ذهل وسمان، وهو ينصت إلى الرجل الذي ناوله جريدة، وقال قبل أن يغادر:

- حساب الشاي عليّ.

غادر الرجل مسرعاً، فرد وسمان جريدة (الثورة)، وجد السيد الرئيس على صفحتها الأولى، وقد بدت بسمته مطمئنة، وهو يعتلي عبارة «قواتنا الباسلة تزف بشائر النصر المبين لشعبنا الأبي»، طوى الصفحة الأولى، قرأ أعلى الصفحة الثالثة كلمات خضر:

«أبو نواس شاعر الشاطئ، ينفرد ليأكل السمك في الخامسة صباحاً، ألق عليه التحية، يلقي عليك الشعر... (51243)».

إذاً أمامه أقل من ساعة ليصل الموعد، فالخامسة صباحاً تعني الخامسة مساءً، في مطعم (الشاطئ) بشارع (أبو نواس).

انطلق بمركبته المارسيدس السوداء، يمخر شارع الرشيد بروية، منساباً مع حشد من المركبات التي يضج بها الشارع مختنقاً. رائحة المطر تملأ أجواء الطريق، فتسبغ على النفس ارتياحاً يشوبه قلق الموعد الغريب.

أمام مطعم الشاطئ ركن مركبته، ترجّل قلقاً، جال بعينيه في أرجاء الشارع، دخل المطعم السياحي، فاحت رائحة السمك المسقوف على الجمر، طقطق الخشب متشققاً من دبيب النار بين خلاياه الرطبة. كان المطعم شبه خالٍ في مثل هذه الساعة، ثمة زبون يجلس منفرداً، توجه



وسمان صوبه، جلس على طاولة قريبة منه. كان الرجل وسيماً، حليق الوجه، أصلع الرأس، يرتدي بزة رسمية، منسجماً مع سمكة مسقوفة بين يديه ينبش لحمها بأصابعه البيض النحيلة، يكوّم إبرها في زاوية من الإناء. سلم عليه وسمان، وهو يسحب كرسياً ضمن طاولة قريبة:

- السلام عليكم.

رد الرجل دون أن يرفع رأسه عن السمكة:

- دع عنك لومي فإن اللوم إغراء ... وداوني بالتي كانت هي الداءُ.

التقم الرجل لقمة كبيرة بنهم، وقف النادل أمام وسمان يسأله:

- هل تطلب شيئاً؟ أم تنتظر أحداً يا سيدي؟

رد الرجل النهم على النادل، دون أن يترك فرصة لوسمان:

- إنه معي، ينتظرني كي أفرغ ونشرب الشاي معاً.

انحنى النادل باحترام، وانسحب مبتسماً. نظر وسمان صوب الرجل النهم، الذي أومأ برأسه وهو يقول:

- مساك الله بالخير سيد وسمان.

حدق فيه وسمان قبل أن يرد:

- الله بالخير.

نفض الرجل يديه، مص أطراف أصابعه، نهض وهو يوجه النادل:

- نحتاج الآن قدحي شاي مضبوطين، من يدك الكريمة.

التفت الرجل إلى وسمان، استأذنه:

- سأغسل يدي وأعود إليك.

نظر وسمان في ساعة يده، لم يستطع أن يميز العقارب، زفر باضطراب، عدّل عقدة ربطة عنقه، نقر بأطراف أصابعه على فخذه. مرت دقيقة قبل أن يعود الرجل ليقف أمام وسمان مرحباً بأريحية صديق قديم:

- أهلاً بالعزيز الغالي.



وقف وسمان أمامه منتصباً مد يده ليصافح الرجل، صفق الرجل يدَهُ بيدِ وسمان على الطريقة الريفية، فارتدّت يد وسمان منفلتةً من المصافحة، ثم تداركها فالتحمت يداهما. شد الرجل على أصابع وسمان بقوة، لمعت عيناه وهو يهمس:

- تصرف بشكل طبيعي، أنا من طرف (51243).

قال وسمان وقد بدت على ملامحه علامات القلق:

- لم كل هذا التمويه؟ كان من السهل على الأستاذ صالح أن يتصل بي هاتفياً، أو يرسل في طلبي لألتحق به حيثما يريد.

- لا تذكر أي اسم.

رد الرجل بحزم، استطرد:

- هواتفك مراقبة منذ يومين.

قطب وسمان جبينه، استغرب:

- مراقبة؟! ممن؟ ولمَ؟

- لا يحق لك أن تسأل عن الجهة، البيت الذي يهمك من القصيدة هو أنك متهم.

- متهم؟!

وصل النادل يحمل صينية تتوسطها سكرية وقدحا شاي، جامله الرجل:

- عاشت يداك.

ما إن غادر النادل حتى خاطب الرجل وسمان بصرامة:

- لا تقاطعني كصحفي، وأنصت إلي كرجل في مأزق؛ لقد ألقي القبض قبل يومين على مجموعة من الضباط، الذين من المقرر أن يشاركوا في استعراض الجيش بعد غد، وتبين أنهم يخططون لمحاولة اغتيال السيد الرئيس وهو على المنصة، في عملية شبيهة باغتيال الرئيس المصري أنور



السادات، إنهم الآن يعترفون بمخططهم.

رشف الرجل رشفة من قدح الشاي، فبادره وسمان:

- وما علاقتي بهم؟

- بينهم ضابط حدث، يدعى (خميس)... إنه أخوك.

بُهت وسمان، سقط قدح الشاي من بين يديه، واندلق على المنضدة، ردد بشرود:

- خميس؟!

- نعم... خميس مجبل، أخوك، لهذا أنت مراقب، هواتفك مراقبة، وجلستنا الآن مراقبة، لهذا أرسلني إليك (51243)، حين أحس - بعد اطلاعه على تفاصيل التحقيق - أنك في دائرة الخطر، وسيصدر بحقك أمر إلقاء قبض، ربما خلال يومين.

- وما علاقتي أنا بالموضوع؟

قالها وسمان محتجاً، رد عليه الرجل بحزم:

- أنا مأمور، ولدي رسالة أوصلها إليك، ولا أحمل أية تحليلات أو إجابات عن أسئلتك.

ابتلع وسمان ريقه، تساءل:

- ماذا عليّ أن أفعل؟

مد الرجل يده في جيب سترته الداخلي، أخرج مغلفاً صغيراً، قدمه لوسمان وهو يقول:

- ضع هذا في جيبك.

دلسه وسمان في جيب سترته الداخلي، بينما استرسل الرجل:

- ستجد داخل المغلف جواز سفر، وبطاقة سفر لطائرة ستقلع فجراً إلى عمّان، عليك أن تغادر على متنها حتماً، ستكفيك الساعات المتبقيات لتحضير الحقيبة.



اختفت ابتسامة الرجل التي ظلت ترافق كلماته بشكل تمثيلي، قال:

- لا وقت للتفكير أبداً، علينا أن نغادر الآن.

نزل الخبر كصاعقة على رأس وسمان، لم يمنحه فرصة للتفكير، أمامه بضع ساعات ليختفي تماماً، لن يتمكن من إنقاذ جل أمواله الموزعة في السوق على التجار والبضائع، لكن الفرصة الذهبية تلمع في الأفق، ربما رتبتها الأقدار؛ لتعوضه - إن لعبها بحنكة - عن خسارته المحتملة بأرباح خيالية.

(25)

ما إن أفرغ وسمان أغراضه في الجناح الملكي في فندق (كونتنينتال)، حتى توجه صوب المصرف المركزي في عمّان، الذي كان قد حوّل إليه من بغداد قبل أسبوعين عشرين مليون دولار باسمه، وهو المبلغ المخصص، كدفعة أولى، لبناء مجمع بإشرافه في عمان، كان من المقرر أن تعود ملكيته لزوجة السيد الرئيس.

حين دخل المصرف وأعرب عن هويته كمليونير، تسابق الموظفون والموظفات لتقديم الخدمات له، قالت له سكرتيرة مدير المصرف:

- أعلم يا سيدي أن وقتك ثمين، لكنني أستميحك العذر لتنتظر في مكتبي على قدر شرب فنجان شاي، فالمدير في طريقه إلينا.

ابتسم وسمان، حدق في نحر السكرتيرة السمراء قبل أن يجيب:

- قهوة لو سمحت... اجعليها فنجان قهوة تحاكي لون بشرتك الساحر.

ضحكت السكرتيرة بغنج، قالت وهي تضغط على جرس النداء:

- أنت رجل مذواق ومهذب.



(26)

وضعت عاملة الخدمة الصينية على المنضدة العالية أمام وسمان، أفرغت منها، فنجان القهوة، وقدح ماء، وقطعة شوكولاتا. قربت منه منفضة السجائر السوداء المربعة القاعدة، طوت منديلاً ورقياً بشكل مربع، وضعت في قعر المنفضة، رطبته بقليل من عبوة الماء التي كانت بحوزتها؛ لتمتص رماد السيجارة. ملأت القدح بالماء، نظرت إلى السكرتيرة مستأذنة بالانصراف؛ فأومأت لها بذلك.

شرب وسمان غبقة ماء، قال للسكرتيرة التي كانت تراقبه بدقة:

- منذ مئات السنين، اعتاد العثمانيون على هذه العادة، أن يقدموا الماء مع القهوة.

- العثمانيون؟!

رشف من قهوته قبل أن يتم:

- نعم... هي عادة من عادات الضيافة العثمانية، فإن شرب الضيف القهوة أولاً، دل فعله على أنه قد تناول طعامه قبل مجيئه، وإن شرب من الماء فتلك إشارة إلى أنه جائع؛ وفوراً؛ يسارع المضيّف بسحب القهوة وإعداد الطعام.

ضغطت السكرتيرة على زر النداء وهي تبتسم، دخلت عاملة الخدمة معلنة عن إذعانها:

- نعم آنستي؟

- احملي فنجان القهوة.

حملت العاملة فنجان القهوة أمام صمت وسمان، ودهشته من ردة الفعل السريعة. رفعت السكرتيرة سماعة الهاتف، أدارت قرص الأرقام عدة مرات، بعد لحظات صمت قالت:



- صباح الخير... مطعم الصباح... احجز لي مائدة لشخصين، سنكون عندك في غضون عشر دقائق.

نهضت السكرتيرة، أشارت لوسمان بذراعها السمراء العارية حتى كتفها، وهي تقول بلباقة:

- اسمح لي أن أعيد تراث العثمانيين معك يا سيدي.

ابتسم وسمان، نهض وهو يغرز سهام نظراته في إبطها البض.

(27)

جلسا في ركن برتقالي، تحيط به أربعة أصص فخارية، تتعرش من جوفها عرائش اللبلاب، لتلتف بشوق على عمودين رخاميين نيليين، وتلامس سقف المطعم بخشوع مقنن.

فصلتهما مائدة مربعة، اصطفت على جانبها علب الصلصات، ومناثر الملح والمطيبات. وقف النادل باستقامة، بعد أن ناول السكرتيرة قائمة الوجبات المتاحة في مطعم الصباح، قالت له بلباقة جلية:

- أنظر في طلب ضيفنا أولاً.

التفت النادل إلى وسمان الذي أسند وجهه على كفيه المتشابكتين، همّ أن يناوله نسخة القائمة الثانية، لكن وسمان امتنع عن أخذها، وهو يشير له بأصابع يده اليمنى ويحدد:

- كباب، هات لي كباب.

نظرت السكرتيرة إلى وسمان باستغراب، وجدته محدقاً في فتحة جيب فستانها، أحست بلزوجة نظرته الدبقة على صدرها، تساءلت بتهكم؛ محاولةً أن تزيح نظرته:

- ماذا ستأكل على الغداء إذن؟!



لم يحرك ساكناً، استرسل دون أن يغض بصره:

- لن أتغدى... سأكتفي بهذا الفطور.

وجهت السكرتيرة النادل:

- أنا كذلك، هات لي كباب.

أومأ النادل برأسه وانسحب، أرخت السكرتيرة عروة الزر الأعلى في قميصها؛ لتتيح مساحة أوسع من نحرها للعيان. ابتسم وسمان، أغمض عينيه، تنهد، أسند ظهره على الكرسي، وأرخى يديه على فخذيه. نظر في سقف المطعم الأبيض، حيث عرائش اللبلاب متشبثة بتوسل، متأرجحة ما بين السمو والسقوط، ردد كمن يخاطب نفسه:

- إنها وجبتي الخاصة، آكلها بنهم، كلما مررت بمنعطف تاريخي في حياتي، وها أنا اليوم أنعطف انعطافة صارخة. فلا بد من أن أعتِّق طعم المنعطف بنكهة الكباب.

- ستكون انعطافة مميزة هذه المرة، بنكهة كباب شهي وعبق امرأة لا تستكين.

ابتسمت بمكر، وانتظرت رده بشغف، فجاء معززاً بغموض:

- ستكون انعطافة بلا قرار إذن.

- هل لديك التزامات هذا المساء؟

تساءلت في محاولة لإيقاد جذوة علاقة غرامية، فبصق على الجذوة دون تلكؤ وهو يتفكر في اللعنة:

- نعم... وكل مساء.

أردف وسمان:

- لكنني سأحتاجك في وضح النهار.

- أنا مستعدة لخدمتك.

- سأكون كريماً معك، مقابل أن تسهلي لي أعمالي المصرفية.



- المصرفية فقط؟!
- فقط... ليس لي فيك مآرب أخرى.
أخرج من جيبه مغلفاً، وضعه على الطاولة وهو يقول:
- هذه ألف دولار عربون العمل، ستستلمين مثل هذا المبلغ أول كل شهر.
فتحت المغلف، فاحت رائحة المال ذكية، اختلطت برائحة الكباب الزكية، حين وضع النادل الأطباق على الطاولة.

(28)

تململ صالح في سريره، نفث دخان سيجارته بزفرة أيقظت زوجته، ابنة الرئيس. التفتت صوبه، قالت بتثاؤب واستغراب:
- أ لا زلت مستيقظاً؟ وتدخن؟
استدارت صوبه، قبل أن تستدرك:
- أ ثمة ما يقلقك؟!
- سأسافر في مَهمة سرية إلى عَمان، أريدك أن تأتي معي لنقضي بعض الوقت بعد إنجاز المهمة، هناك بعيداً عن هموم الدولة.
اعتدلت (تغريد) في سريرها، تساءلت:
- إذا كانت المهمة سرية؛ فكيف سأسافر معك؟!
نفث دخاناً ملأ الغرفة، التفت إليها وقال بابتسامة مصطنعة:
- لن تستغرق المهمة أكثر من يوم واحد، وسنقضي بقية الوقت بمتعة.
أطفأ السيجارة في المنفضة الفضية، استدار نحوها، ألح بزج الفكرة في قلبها وهو يهمس:
- ثمة مفاجأة مميزة، سوف نستمتع بهذه السفرة.



تمتمت:

- حسناً... متى السفر؟

- فجر اليوم، بعد خمس ساعات.

صاحت بانفعال:

- ماذا؟ متى سأهيئ لوازم السفر؟ متى سأخبر أهلي؟

همس بخفوت:

- لا حاجة لأية مستلزمات، ثم إن المهمة سرية، ولا أريد أن يعلم بها أحد، كأننا ذاهبون لزيارة صديق داخل بغداد، ونعود، هل فهمتِ ما أعنيه؟

ردت بارتياب:

- لست مطمئنة يا صالح! هل يعلم أبي بالأمر؟

تحايل عليها وهو يسحبها من ذراعها، ويستلقي وإياها بهدوء:

- حبيبتي... قلت لك إنها مهمة سرية، ما يعني أنها بتكليف من عمي السيد الرئيس حفظه الله ورعاه.

سحب الغطاء ولف ذراعه حولها، واستغرقا في حب عميق.

(29)

دقت الساعة السادسة، حين انطلقت مركبة المارسيدس البيضاء، تقل (شخصية مهمة جداً)، ترافقها مركبتان تقلان أفراد حماية. انطلق الموكب صوب الحدود الأردنية دون اعتراض من أية نقطة تفتيش، النداء الذي توجهه مركبة الحماية الأولى إلى نقاط التفتيش؛ كفيل بفتح الطريق على رحابته أمام الموكب؛ الذي يقل الفريق الركن صالح عواد وعائلته.

ظل ضباط ومنتسبو معبر (طريبيل) الحدودي على أهبة الاستعداد،



- المصرفية فقط؟!

- فقط... ليس لي فيك مآرب أخرى.

أخرج من جيبه مغلفاً، وضعه على الطاولة وهو يقول:

- هذه ألف دولار عربون العمل، ستستلمين مثل هذا المبلغ أول كل شهر.

فتحت المغلف، فاحت رائحة المال ذكية، اختلطت برائحة الكباب الزكية، حين وضع النادل الأطباق على الطاولة.

(28)

تململ صالح في سريره، نفث دخان سيجارته بزفرة أيقظت زوجته، ابنة الرئيس. التفتت صوبه، قالت بتثاؤب واستغراب:

- أ لا زلت مستيقظاً؟ وتدخن؟

استدارت صوبه، قبل أن تستدرك:

- أ ثمة ما يقلقك؟!

- سأسافر في مَهمة سرية إلى عَمان، أريدك أن تأتي معي لنقضي بعض الوقت بعد إنجاز المهمة، هناك بعيداً عن هموم الدولة.

اعتدلت (تغريد) في سريرها، تساءلت:

- إذا كانت المهمة سرية؛ فكيف سأسافر معك؟!

نفث دخاناً ملأ الغرفة، التفت إليها وقال بابتسامة مصطنعة:

- لن تستغرق المهمة أكثر من يوم واحد، وسنقضي بقية الوقت بمتعة.

أطفأ السيجارة في المنفضة الفضية، استدار نحوها، ألح بزج الفكرة في قلبها وهو يهمس:

- ثمة مفاجأة مميزة، سوف نستمتع بهذه السفرة.



تمتمت:

- حسناً... متى السفر؟

- فجر اليوم، بعد خمس ساعات.

صاحت بانفعال:

- ماذا؟ متى سأهيئ لوازم السفر؟ متى سأخبر أهلي؟

همس بخفوت:

- لا حاجة لأية مستلزمات، ثم إن المهمة سرية، ولا أريد أن يعلم بها أحد، كأننا ذاهبون لزيارة صديق داخل بغداد، ونعود، هل فهمتِ ما أعنيه؟

ردت بارتياب:

- لست مطمئنة يا صالح! هل يعلم أبي بالأمر؟

تحايل عليها وهو يسحبها من ذراعها، ويستلقي وإياها بهدوء:

- حبيبتي... قلت لك إنها مهمة سرية، ما يعني أنها بتكليف من عمي السيد الرئيس حفظه الله ورعاه.

سحب الغطاء ولف ذراعه حولها، واستغرقا في حب عميق.

(29)

دقت الساعة السادسة، حين انطلقت مركبة المارسيدس البيضاء، تقل (شخصية مهمة جداً)، ترافقها مركبتان تقلان أفراد حماية. انطلق الموكب صوب الحدود الأردنية دون اعتراض من أية نقطة تفتيش، النداء الذي توجهه مركبة الحماية الأولى إلى نقاط التفتيش؛ كفيل بفتح الطريق على رحابته أمام الموكب؛ الذي يقل الفريق الركن صالح عواد وعائلته.

ظل ضباط ومنتسبو معبر (طريبيل) الحدودي على أهبة الاستعداد،



بدوا كأنهم في مراسيم استقبال رئاسية. وقف مدير المعبر الحدودي كوتد شامخ وهو يقدم نفسه بين يدي الفريق الركن صالح الذي حياه باستعجال، وقال له عبر نافذة المركبة:

- لا أريد جلبة، أنا في مهمة خاصة، وآمرك بأن لا تلفت الانتباه أنت ورفاقك.

- أمرك سيدي.

عبر الموكب باتجاه المعبر الأردني، استقبل مدير المعبر الأردني الموكب محيياً صالح، وقف بجانب المدير رجل يرتدي بزة سوداء، يبتسم دون أن يبدو عليه الارتياح، قال لصالح:

- سأصطحبك إلى القصر الملكي يا سيدي، لمقابلة بعض المسؤولين.

أشار إلى مركبة مركونة جانباً، أردف مفصلاً:

- تفضّل أنت معي في هذه المركبة يا سيدي، السيدة والأولاد؛ سيكونون في الضيافة الملكية... سيهتم بهم رفاقي.

هز صالح رأسه موحياً بالموافقة والاطمئنان.

(30)

لم يهدأ لمدير المعبر الحدودي العراقي بالاً، فأبرق إلى وزارة الداخلية، (شخصية مهمة جداً، عبرت الحدود، بدون تصريح مسبق).

مرت دقيقة أو بضع دقيقة، ثم رن هاتف مدير المعبر، قال له عامل البدالة الذي تحدث عبر الهاتف:

- معك السيد وزير الداخلية يا سيدي.

صاح مدير المعبر، وهو ينتصب كوتد متخلخل:

- نعم سيدي.



- من الذي عبر الحدود؟
- الفريق الركن صالح عواد يا سيدي.
- لوحده؟
- معه السيدة المصون زوجته، والمحروسون أولاده يا سيدي.

أغلِق الهاتف، رن صوت البدالة المتقطع، كصفارة إنذار في أذن مدير المعبر.

(31)

ضمن جناح خاص في القصر الملكي، جلس صالح وزوجته وأولاده. وقفت تغريد متوترة، مشت بضع خطوات متوترات بلا وجهة وسط الصالة الفارهة، بأثاثها المبهر. نظرت إلى صالح، تمتمت:

- ما الذي يحدث؟
- لقد هربنا من العراق.

جمدت في مكانها، فغرت فاها، اخترقت نظرتها جدران القصر، نظرت إلى أفق بعيد، لاحت لها أطياف كثيرة مضطربة، يحفها سراب من صفوف نخيل، ارتمت على الأريكة كجثة هامدة، قالت بذهول:

- خدعتني.

غرزت وجهها بين أصابعها، انسدل شعرها الأشقر السرح على جانبي وجهها.

- بل أنقذتك، وأنقذت أولادنا، صدر بحقي حكم إعدام، كان سيوقّع اليوم في مكتب أبيك... لقد تعرضت لمؤامرة كبيرة، لم أكن لأتمكن من النفاذ منها؛ لو أنني بقيت هناك.

نهضت تغريد كعاصفة، تتأهب للهبوب:

- ما الذي تقوله؟ مستحيل أن يفعل أبي هذا!



اقترب منها قبل أن يجيب:

- لقد حيكت المؤامرة علَي من أطراف عدة، وفاتل المغزل فيها أخوك، كان أبوك سيجبر على التوقيع تحت ضغطه النفسي وخياله المشبّع بحس المؤامرة، أنا متهم بالانقلاب عليه.

- لو أنك قلت لي، لتحدثت مع أبي في الأمر.

رد بازدراء:

- كان سيقتلني؛ ويربت على كتفيك معزياً.

انخرطت تغريد في بكاء حار، أدركت حجم المصيبة التي حلت بها.

(32)

رن جرس هاتف منتصب على منضدة من خشب الجوز، ذات طراز عتيق. بصوت واثق، رد صالح على الهاتف، قال له عامل البدالة:

- السيد رئيس جمهورية العراق، يريد أن يكلم ابنته يا سيدي.

هرعت تغريد إلى الهاتف، نشجت دموعها، انتحبت وهي تصيح:

- بابا... لم أكن أعلم بأي شيء، لقد خدعني.

- تغريد... هل أنت والأولاد بخير؟

تمالكت نفسها وهي ترد متشنجة:

- نعم أبي، أقسم لك أنني خدعت.

- أعلم يا ابنتي، اطمئني، لا تتصرفي أي تصرف؛ دون استشارة عمك الملك. ستعودين قريباً، أعدك بذلك.



(33)

بدا الاضطراب واضحاً على صالح، وهو يجفف قطرات العرق التي انتثرت على جبينه، حين سأله الأمير:

- ما الذي تريد كشفه، في المؤتمر الصحفي الذي تطالب بعقده؟

تلكأ قبل أن يجيب:

- امتلاكي أسراراً خطيرة، ذات صلة بالتصنيع الكيميائي العراقي، سوف تضع هذه الأسرار النقاط على الحروف، ليقرأها العالم أجمع.

تريث الأمير قبل أن يسأل صالح:

- أ لا ترى أنك بفعلك هذا، سوف تقطع كل خطوط الرجعة إلى العراق؟

توتر صالح، وهو يقول:

- ومن قال إنني أريد العودة إلى العراق، لن أعود إلا بصفتي رئيساً للعراق. لدي خطة محكمة، سأعرضها على المعارضة العراقية؛ للإطاحة بالنظام الحاكم.

انتصب الأمير في جلسته، قال بحزم:

- شيء واحد أريدك أن لا تنساه، لن تقدم لك المملكة أي دعم، سوى أنها تستضيفك بكل كرم؛ طالما طاب لك المقام على أراضيها.

تجهم وجه صالح، تساءل:

- أريد أن ألتقي برؤساء المعارضة الموجودين في المملكة، وبالسفير الأمريكي فيها.

- سوف نبلغهم رغبتك، وهم أحرار في تلبيتها... يمكنك الانصراف الآن.

اقترب أحد موظفي القصر، والذي كان يقف عند الباب، وقال لصالح وهو يشير إلى الباب:

- تفضل معي من هنا يا سيدي.



ظهرت إرهاصات القلق على وجه صالح، قامته الفارعة انتابها الانحناء، كان يتصور الأمور أسهل مما هي عليه، لكنه لم يقنط، فحتى لو خذله رؤساء المعارضة، فإن السفير الأمريكي سينبهر بالأوراق التي بحوزته، إنها وثائق رسمية تكفل لأمريكا إعلان الحرب على النظام الحاكم في العراق، وإسقاطه.

(34)

احتشدت قاعة فندق هيليتون بالصحفيين، ازدحمت منصة الخطيب بعشرات اللاقطات، أطرّ كل لاقطة مجسمٌ مزين بعلامة مؤسسة إعلامية. بعض تلك العلامات ازدانت بحروف عربية، وبعضها الآخر بحروف أجنبية.

تربع بعض قادة المعارضة العراقيون على مقاعد فخمة رصت في الصف الأول، بدا العامل المشترك الأكبر بين القادة، كروشهم الكبيرات، ووجناتهم اللامعات. هم أقرب إلى وزراء في حكومة ديكتاتورية، منهم إلى قادةٍ معارضين.

أطنب أمين سر المؤتمر في مدحهم، أوغل عميقاً في ذم الحكومة العراقية، قال بصوت رج قلوبهم، وململ مجالسهم:

- أنيط بكم يا قادة المعارضة مسؤولية إنقاذ شعبنا العراقي الأبي، من ربقة الظلم الذي يرزح تحته منذ عقود، في رقابكم تتدلى آمال الأيتام، وتتشبث دعوات الأرامل، فلا تترددوا عن نصرتهم؛ فتردوهم خائبين.

فجأة، قطع أمين سر المؤتمر بذخ كلماته، قال وهو يشير إلى باب القاعة:

- رحبوا معي بممثل معالي السفير الأمريكي الموقر، الذي حضر مؤتمرنا هذا، ليكون نقطة العنبر في صحنكم المرمري.



تقدم رجل أسمر، بلحية سوداء رفيعة وشاربان باسمان، وخال كبير فوق حاجبه الأيمن. صفقّ أمين سر المؤتمر بحرارة، رفع يديه، حيى ممثل السفير ومرافقيه، انتظر ريثما جلس ممثل السفير، ووضع السماعة على أذنيه، لينصت إلى المترجم، عاد أمين سر المؤتمر ليقول معرفاً:

- الفريق الركن صالح عواد، رجل معروف لدى الجميع، هو لا ينكر إطلاقاً علاقته التي كانت متينة بالرئيس العراقي الطاغية، وهو اليوم يقف أمامكم، ليتبرأ من أية علاقة له مع هذا النظام. وليعلن ولادته الجديدة، ويتعمّد في مؤتمركم هذا، ويشارك شملكم الكريم نصرةً لشعبنا الأبي.

أشار أمين سر المؤتمر إلى ركن المسرح، صدح باسماً:

- رحبوا معي بالفريق الركن صالح عواد، الذي أصرّ أن يقابلكم بزيه الريفي الأصيل، بالغترة والعقال والدشداشة والعباءة.

تقدم صالح بخطى واثقة تدرب عليها، مشى على إيقاع التصفيق، الذي ألهبه عشرات الأشخاص المستأجرين داخل القاعة، والممزوج بكلمات أمين سر المؤتمر حوله:

- ربما يريد هنا أن يستعيد في ذاكرتكم المتقدة، صورة الملك فيصل، حين كان يتفاوض مع الدول العظمى، لإنقاذ الشعب العراقي قبل ثمانية عقود.

ختم أمين سر المؤتمر مقدمته الطويلة، شاكراً ضيوف المؤتمر:

- شكراً لحسن إصغائكم إلي، أنا أمين سر مؤتمركم، الدكتور وسمان المفتي.

في بدء كلامه شكر صالح صديق عمره ورفيق دربه، أمين سر مؤتمره الدكتور وسمان، قال بعد أن رحب بالحضور:

- يبدو أن الدكتور وسمان قد وفّر لي الكثير من الجهد، الذي كنت سأبذله لتقديم نفسي وعرض قضيتي أمامكم؛ لذا سأختصر عليكم الأمر.

رفع بيده ملف أوراق كبير، ذا لون أحمر، رفع نبرة صوته معلناً:



- أريد أن أقدم وثائق خطيرة جداً، ومهمة للغاية، إلى سعادة السفير الأمريكي عبر ممثله الذي يشاركنا الجلسة. وثائق ظلت فرق التفتيش، المكلفة من قبل الأمم المتحدة، تبحث عنها في العراق، طوال السنتين الماضيتين. وثائق تفضح تورط النظام العراقي المجرم، في الصناعة الكيميائية الحربية، وتدينه إدانة قوية، تودي به إلى التهلكة. وفي ختام مؤتمرنا، سنشكل لجنة عليا لقيادة المعارضة وإسقاط النظام العراقي، بحماية سياسية وعسكرية من الحكومة الأمريكية.

نهض ممثل السفير الأمريكي، عم الصمت، تقدم نحو المنصة، وقف بجانب صالح، أشار إلى أحد مرافقيه الذي أسرع يحمل حقيبة معدنية. أمام صمت الجميع فتح المرافق الحقيبة، ضغط على أزرار فيها انبعثت منها حزمة ضوء على الحائط الأبيض الذي يظاهر المنصة، أخرج السفير من جيبه إصبع ذاكرة ضوئية، تحدث بصوت جهوري إلى الجميع، وبكلمات مختزلة:

- صباح الخير، إن هذه الذاكرة الضوئية، تحتوي على ملفات استلمَتها سفارتي مساء أمس من الحكومة الأمريكية. وقد استلمتها حكومتي صباح الأمس من الرئيس العراقي، الذي بلَّغ حكومتي عبر سفيره في أمريكا، أنها ملفات خطيرة، كان الفريق الركن صالح عواد قد خبأها في خزنته الخاصة، فمن خلال منصبه السابق في الحكومة العراقية، أشرف على الصناعة الكيميائية السلمية، لكنه استطاع تطويرها إلى أسلحة حربية دون علم الحكومة العراقية، وحين انكشفت هذه الأوراق، فر الفريق الركن صالح من العراق. يدّعي الرئيس العراقي أن صالح جاء هنا ليجمعكم، ويحاول إدارة اللعبة لصالحه، لكنه نسي أو تناسى أن الرئيس العراقي هو أستاذه، وسيظل الأستاذ هو المسيطر على السبورة والطباشير!



التفت إلى صالح قبل أن يتم حديثه:

– الآن، هل يريد فخامة الفريق الركن أن أعرض الوثائق التي بحوزتي أمام الحضور؟ أم انه يستحسن – كما أرتئي – أن أتوقف عند هذا الحد؟ فربما احتوت الملفات التي بحوزتي أوراقاً ملفقة عليه.

استند صالح على حافة المنصة، ابتلع ريقه، فتح زر الدشداشة العلوي الذي كاد يخنقه، أسرع وسمان نحو المنصة، همس في أذن صالح:

– يستحسن أن تنسحب بهدوء، سأرتب الوضع مع الصحفيين، لئلا ينقلوا الكارثة.

انسحب صالح من حيث أتى، التفت وسمان نحو ممثل السفير الأمريكي، شكره على جهده بكياسة مبتسماً:

– أشكر معاليكم على هذا الطرح الذي قدمتموه.

بالغ وسمان بالابتسام وهو يشير إلى ممثل السفير، كي يعود إلى مكانه.

دبت الفوضى في أرجاء القاعة، انسحب بعض قادة المعارضة، ثرثر بعضهم الآخر، نادى وسمان:

– أرجو عدم مغادرة الصحفيين القاعة، حتى عقد مؤتمر صحفي خاص. أما الضيوف الأكرمين، فأشكرهم على حضورهم، وأتمنى لقاءهم قريباً.

جمع وسمان ما على المنصة من أوراق، وضعها في حقيبته الجلدية التي أخرجها من تحت المنصة، أخرج من الحقيبة رزمة نقود من فئة المائة دولار. حين أقبل عليه الصحفيون ليتسلموا لاقطاتهم المنصوبة على المنصة، أعطى كلاً منهم خمسمائة دولار، وردد للجميع عبارة واحدة:

– شكراً لكم على عدم نشركم تفاصيل المؤتمر، هذه أجور أتعابكم مع التقدير والاحترام.



(35)

في شقته التي تبعد مسافة غير بعيدة عن فندق هيليتون، رن جرس الباب، فانتفض وسمان منتشياً بتمام نجاح خطته كما رسم لها. فتح الباب، أطل رجل أسمر، بلا لحية رفيعة، ولا شاربان باسمان، له خال كبير فوق حاجبه الأيمن، قال مزدرياً:

– عيناي... هل تقبل بالضيوف؟

رد وسمان وهو يفتح ذراعيه مرحباً بسخرية:

– أهلاً بممثل معالي السفير الأمريكي المحترم.

ماجت ضحكة ماجنة بينهما، علق وسمان متهكماً:

– لقد انطلت الخدعة على قادة المعارضة الأفذاذ.

دخل الشاب الأسمر، أغلق الباب خلفه، رد وهو يضحك:

– لو أنهم أدركوا خلو أصبع الذاكرة من أية معلومات، لوقعت الكارثة، لكنهم مجموعة قادة عاطفيين، يسهل التحايل عليهم.

– ليسوا كذلك يا صديقي، إنك أنت المدرَب بحنكة، لتجيد أداء دورك بامتياز. بقي أن تفي بوعدك معي كاملاً.

فتح الشاب الأسمر الحقيبة التي كانت بحوزته، فاحت منها رائحة يميزها وسمان برهافة، قال الشاب:

– إنه ليس وعدي، بل وعد السيد الرئيس، هذه مليون دولار كعربون مصداقية، وسوف يعفو عنك، ويهبك المبلغ الذي استحوذت عليه سابقاً، ويهبك بقدره أربع مرات، مقابل ما وعدت به.

استلم الشاب الأسمر من وسمان نسخاً من الملفات التي كانت بحوزة صالح، قال وهو يتأهب للمغادرة:

– سوف تصل هذه النسخ بيد السيد الرئيس الليلة، سيُسر بها،



وستزداد ثقته بك، فتنعم بهداياه. خرج وسمان يحمل ملفات صالح بحقيبته، بعد أن غادره الشاب، الضابط في جهاز المخابرات العراقي، بربع ساعة. توجه إلى فندق هيليتون، كان صالح بانتظاره في قاعة الاستقبال، قال بصوتٍ متحشرج:

- ماذا فعلت مع الصحفيين؟

- لا تقلق بشأنهم... المهم، ما الذي ستفعله الآن؟

- لا أدري... فأنا مشوش الفكر، لا أعرف ما الذي أوقعت نفسي فيه؟ لم يعد أمامي أي مخرج.

نظر إلى وسمان، شابَ التوسل صوته:

- جد لي حلاً يا وسمان، أنا أثق بك يا صديقي.

نادى وسمان على عامل الضيافة، طلب منه أن يحضر فنجاني قهوة، اتكأ على مسند الأريكة، نظر إلى البلاط الأبيض اللامع تحت قدميه، تنهد قبل أن يمهد:

- هل تذكر العرافة في فرنسا؟

قطب صالح جبينه مستغرباً، تساءل:

- العرافة؟! نعم أذكرها... ما الذي ذكّرك بها؟

- أتذكر ما قالته لك، بخصوص ارتقائك؟ لقد تحقق.

رد صالح، وهو يقاوم شبح ابتسامة طاف على وجهه:

- بالفعل... لقد تحقق ما تنبأت به.

وضع النادل فنجاني القهوة وقدحي ماء على المنضدة الرخامية السوداء، وغادر. رشف وسمان من فنجانه، لحس شفتيه قبل أن يقول:

- تتوجب علينا زيارتها للاستشارة، أعتقد أن الحل لديها.

رشف صالح من فنجانه، نظر في الرغوة المتراكمة فوق سطح القهوة، تساءل:



- هل تظن أنها تملك الحل؟

- إنها ترى الأحداث بشكل أوضح، نحن في زورق يجري بنا في نهرٍ منحدرٍ ملتوٍ، نتوقع شلالاً خلف الالتواءات، وهي تحلق بطائرة شراعية، ترى التواءات النهر على بعد أميالٍ عدة، ما عليها إلا أن تحذرنا، أو أن تدفعنا إلى المضي قدماً.

علقت نظرات صالح في الرغوة، بادره وسمان على عجل:

- ليس أمامنا الكثير من الوقت، بدأ العد التنازلي، ولا بد من مسابقة الزمن قبل فوات الأوان.

نظر صالح في عيني وسمان، قال بحزم:

- احجز بطاقتي سفر إلى باريس، في أقرب رحلة.

(36)

تلفّت صالح في الطريق المؤدية إلى بيت العرافة، تمتم:

- خمس عشرة سنة مرت سراعاً... كأننا كنا هنا بالأمس القريب!

رد وسمان بصوت عميق:

- خمس عشرة سنة من المجد، بدأته من نبوءة تلقيتها هنا في هذا الشارع، وسوف تتلقى مجداً أكبر في السنوات القادمات.

مط صالح شفتيه، رافضاً أن يستوعب ما يقوله وسمان، عبّر عما يقلقه:

- كل ما آمله؛ أن أجد مخرجاً من مأزقي.

صعد وسمان عتبات السلم القصير الملتوي، المحاطِ من جانبيه بسنادين الزهورِ الصغار الملونات، تبعه صالح بأثره يرافقه المترجم سامر، طرق وسمان باب الخشب الندي، فتح الباب الشابُ ذو الملامح الآسيوية،



بدا وكأنه لم يكبر أكثر من عام، ابتسم كعادته وهو ينحني لهما بهدوء:

- تفضلوا سادتي الكرام.

دخلوا يتبعون الخادم الآسيوي، تركهم في غرفة الانتظار. جال صالح بنظره في أرجاء الغرفة، لاحظ الصورة الكبيرة لمنظر البحر ساعة الغروب، بدت أمواجه أهدأ تلاطماً على الجرف الصخري، فأحدثت زبداً خفيفاً.

عاد الخادم، ليدعوهم إلى الغرفة الأخرى بابتسامة كبيرة:

- تفضلوا هنا سادتي.

في صدارة الغرفة، جلست المرأة العجوز على حالها، مغمضة العينين، أمامها منضدة مربعة، يغطيها شرشف أزرق، يعتليها شمعدان قصير من الفضة، ذو مشكاة واحدة، غرزت فيها شمعة صفراء ملتوية، ذبلت في ذؤابتها جذوة زرقاء.

فرقت المرأة شعرها الأبيض من المنتصف، تدلّت ضفيرتان قصيرتان على جانبي وجهها. لا زالت معلقة على الجدار المظاهر لها لوحة بيضاء مستطيلة، ذات إطار أسود، مكتوب عليها بحروفٍ خضر، ما ترجمته (بعض الناس فقراء للغاية، لأنهم لا يملكون سوى المال). تحت العبارة، في زاوية اللوحة السفلية اليسرى، رسمت وردة بأربعة أوراق. كانت كصليب ملتوٍ شكّل وردة، كتبت تحتها كلمة صغيرة، اقترب وسمان كثيراً ليقرأ الكلمة، انتباه الذهول وهو يقرأ حروفاً تشكل اسمه، بجانبها أرقام (و س م ا ن/ 51243). بهت وسمان، ابتلع ريقه، قطعت العرافة سلسلة أفكاره وهي تردد، ما ترجمه سامر:

- الحياة مرسومة لنا بقلم رصاص، وقد وهبنا الله أقلام حبر لنثبت التخطيط، أو لنغيره وفق ما نريده. الغالبية منا يلقون بأقلام الحبر في سلة القسمة والنصيب، ويستمرون بعيشهم ضمن تخطيط الرصاص الباهت،



ولا يلومهم الله على هذا. البعض منا يخطط ويخطط ويخطط، حتى ينفد الحبر ثم يهبه الله محابر لا تنفد، فينال بها الخلود... حتى لو كنت قد ألقيت بقلمك الحبري في سلة القسمة والنصيب؛ استعده، فستجد أنه صالح للكتابة، وأنك قادر على أن ترسم مستقبلك.

سألها وسمان، وهو يحدق في عينيها الهادئتين:

- ما اسمك؟

ترجم لها سامر، فأجابت:

- إيف.

التفت وسمان إلى سامر، سأله:

- ماذا يعني اسمها بالعربية؟

رد سامر على الفور:

- حوّاء.

تركت العجوز وسمان تتخبطه الحيرة، وأشارت لصالح كي يجلس قبالتها. جلس صالح بحذر، نقرت المرأة بأطراف أصابعها على المنضدة، قلبت كفيها، بدت راحتاها بغاية البياض، لمت أصابعها وفردتها في إشارة لصالح كي يمد يديه على امتداد يديها. شبك أصابعه في أصابعها، أطفأ الخادم الآسيوي الأنوار، ساد الظلام في أرجاء الغرفة، لم يتبق من النور إلا ما تهبه ذؤابة الشمعة الوحيدة، على ضوء الشمعة لاح وجه صالح كئيباً، يجلس سامر قربه؛ ليترجم له ما تقوله العرافة:

- لمَ الوجل؟ لم التأخر؟ لمَ البعد؟ يتوجب عليك أن تعود إلى المزرعة فقد آن وقت الحصاد، وسيكون المنجل العظيم من نصيبك، سوف تسيل دماء غزيرة حول المزرعة، لكنك في النهاية ستكون مبتسماً، لأنك ستنتصر على الكثرة لوحدك، ثم تكون رمزهم الأبدي. عد إلى حيث يجب أن تكون.



شدت العرافة بقوة على أصابع صالح، رصت أسنانها، جحظت عينيها، اختفت خرزتا عينيها، بدت بعينين بيضاوين، نفخت على ذؤابة الشمعة فانطفأت، احتلك الظلام على الجميع، تردد صوت العرافة مرعباً وسط الظلام، فترجمه سامر:

- ستكون الرجل الأوحد في المزرعة... الرجل الأوحد بلا شريك... ستكون الرئيس.

(37)

فتح وسمان باب شقته القريبة من فندق هيليتون، ابتسم له الشاب الأسمر ذو الخال الكبير القابع فوق حاجبه الأيمن، بادره وسمان:

- كل شيء جرى حسبما خططنا له.

ألقى الشاب الأسمر حقيبته على الأريكة الجلدية السوداء، توجه إلى المطبخ، فتح الثلاجة، بحث بين محتوياتها، أخرج علبة بيرة، أغلق باب الثلاجة بقوة، عاد إلى الصالة وهو يردد بانتشاء:

- عيناي... يجب أن نحتفل بالنجاح، إنها لحظة تاريخية يا دكتور وسمان.

صب محتوى العلبة في قدحين، أحضرهما وسمان على عجل، وهو يرجرج يديه ورأسه بمرح. قرعا الكأسين بقوة، حتى اندلقت الرغوة من كأس الشاب، الذي تنفس الصعداء حين جلس وقال:

- لم يهدأ لي بال، حتى وردتني صحيفة من فرنسا هذا الصباح.

ركن الشاب كأسه، فتح الحقيبة، لم تفح الرائحة التي يعشقها وسمان، الحقيبة خالية من النقود، فيها صحيفة ومغلف ذهبي. أخرج الشاب الصحيفة، قلّب صفحاتها، توقف عند الصفحة الرابعة، نظر إلى وسمان وهو يقول:



- هذا هو الخبر الذي كنت أنتظره.

حدّق وسمان إلى حيث أشار له الشاب، لم يفهم ما مكتوب بالفرنسية، بيد أن الصورة المقرونة بالخبر بينت له أن ثمة جثتين هامدتين؛ تساءل:

- ما المكتوب هنا؟

سحب الشاب الجريدة، قرأ بالفرنسية، ثم ترجم لوسمان:

- العثور على جثة العرافة الشهيرة (إيف فيليب) مقتولة بالرصاص في بيتها، بجانبها جثة خادمها الآسيوي.

سارع وسمان يسأل:

- ماذا عن المترجم؟

- وُجد مقتولاً هو الآخر، في مترو الأنفاق، لكنه لم يثر انتباه الصحافة. لقد أكد لي المنفذ، أنه أفرغ رصاصتين في قلبه، وواحدة في ناصيته.

ابتسم وسمان مسترخياً، نظر إلى سقف الغرفة، قال بهدوء:

- يرحمهم الله، لم يعد يقلقني سوى شخص واحد؛ الحاجة (أم صالح). فقد تسرع الغبي واتصل بها، ليبشرها بعودته إلى العراق، وتسلم الرئاسة؛ كما نبأته العرافة.

- لا تقلق بشأنها، فقد عاشت من العمر ما يكفي، الأصدقاء في بغداد سيرسلون لك التعازي بوفاتها كمداً على ابنها.

قهقه وسمان، قال وهو يأتي على ما تبقى له في الكأس:

- في هذه الحال، يحق لي أن أسألك عن أتعابي.

- ليست أتعابك، بل حقوقك مقرونة بشكر السيد الرئيس حفظه الله ورعاه.

مد الشاب يده في جيب سترته الداخلي، أخرج رزمة من النقود، وضعها على الطاولة أمام وسمان، سأله:

- هل رأيت في حياتك ورقة نقدية من فئة المليون دولار؟



فغر وسمان فاه وهو يحدق بالرزمة، أمسكها بهدوء بكلتا يديه، قربهما من وجهه، مرر أنملة إبهامه على زوايا الأوراق المائة، كرر التمرير وهو يقرب الرزمة من أذنه، تسرب الصوت إلى قلبه كنغمة عذبة، تبعها صوت الشاب الأسمر:

- مائة ورقة، من فئة المليون دولار، أي مائة مليون دولار، يمكنك أن تحملها في جيبك مطمئن البال، خصوصاً إذا قرأت العفو الرئاسي الذي صدر بحقك.

فتح الشاب المغلف الذهبي الذي كان في الحقيبة، وأخرج منه ورقة ناصعة البياض، ممهورة بختم ذهبي وإمضاء أخضر يتوج عبارة (صدام حسين رئيس جمهورية العراق). قرأ وسمان مرسوم العفو الجمهوري الذي صدر بحقه الليلة الماضية، والذي يتضمن إعادة كافة أمواله التي صودرت بقرارات تتنافى مع مضمون العفو، وإسقاط كافة التهم عنه، والسماح له بدخول الأراضي العراقية في أي وقت يشاء.

ملأت البسمة وجه وسمان، وضع رزمة النقود على صدره، أغمض عينيه برهة. أيقظه صوت الشاب من سرحانه:

- أستأذنك الآن.

- انتظر قليلاً.

دخل وسمان غرفة النوم، عاد بعد دقيقة بيده رزم نقود، قال للشاب:

- مائة ألف دولار، هديتي لك، أنت تستحقها.

ابتسم الشاب، هز رأسه موافقاً، وضع المبلغ في حقيبته، شكر وسمان:

- ممتن منك، سنبقى على تواصل... لا تغادر المملكة قبل أن تعلمني؛ لأبين لك الموقف.

صافحه وسمان بحرارة وهو يغادر.



(38)

في صالة الاستقبال بفندق هيليتون، جلس وسمان يحتسي الشاي، أقبل إليه صالح بشوش الوجه، تعانقا بحرارة، عبّر عن بهجته:

– أنا في غاية السعادة يا صديقي، لا أعرف كيف أشكرك، لقد أعدت إلي توازني.

– هل جرت الأمور على ما يرام؟

– نعم... اتصلت تغريد بأبيها أمس، وطلبت منه السماح، لم يتردد في أن قال لها «سامحتكم، فعودوا»، سننطلق بعد ساعة.

ربت وسمان على ركبة صالح، رد مبتسماً، وهو ينظر في عينيه:

– أرجو أن لا تنساني حين تتسنم المنصب الأكبر، يا سيدي الرئيس.

وضع صالح يده على يد وسمان، استغرب:

– أنساك؟ هذا ما لن يكون، أنت صاحب فضل عليّ.

أقبل أحد أفراد حماية صالح نحوه، همس في أذنه، أومأ صالح موافقاً، قال لوسمان:

– علينا أن نغادر الآن، سأنظم أموري وأتصل بك في أقرب فرصة، سأنتظر إشارة القدر كما أخبرتني، وسأعتبرها ساعة الصفر.

– على بركة الله.

– بقي أمر مهم.

أخرج صالح من جيب سترته صكاً، قبل أن يتم كلامه:

– حين خرجت من العراق، حولت مبلغاً كبيراً من المال إلى المصرف المركزي في عمان، لا أعرف ما ينتظرني بدقة في العراق، لذا كتبت هذا الصك ليصرف المبلغ باسمك، أنت الوحيد الذي أثق به هنا، انتظر اتصالي من العراق، واتبع ما سأقوله لك حينها بخصوص المبلغ.



لم يحد وسمان بنظره عن عيني صالح، وهو يستلم الصك، سأله:

- كم هو المبلغ؟

- ثلاثمائة مليون دولار، إنه يضاهي ميزانية المملكة يا صديقي، فكن حذراً.

دلس وسمان الصك في جيبه، تأكد من أنه استقر هناك، قرب قلبه النابض، طمأن صالح:

- ركز على تنفيذ الخطة التي رسمناها، وسأنتظر اتصالك لأستفهم منك سيدي الرئيس.

تبادلا الابتسام، تعانقا، ربت كل منهما على ظهر صاحبه.

خرج وسمان من الفندق، استقل مركبة كاديلاك سوداء كانت تنتظره، ركب في المقعد الخلفي، وجه السائق بلا مقدمات:

- إلى المصرف المركزي.

(39)

في معبر طريبيل الحدودي ولجت مركبة المارسيدس البيضاء ساعة الغروب، ترافقها المركبتان اللتان تقلان أفراد الحماية. لم يكن ضباط ومنتسبو المعبر الحدودي على أهبة الاستعداد، لم يكن هناك أحد منهم على الإطلاق! كان ثمة أشخاص ببزات سود يحملون بنادق آلية، عرفهم صالح من الوهلة الأولى، استوقفوا موكبه، أحاطوا به. ثمة طائرة سمتية صغيرة، تدور مروحتها متأهبةً للإقلاع، ترجل منها شخص ببزة عسكرية، حين اقترب من مركبة صالح، تبين أنه ابن الرئيس، خاطب صالح بلهجة آمرة:

- تغريد والأولاد سيأتون معي، أنت وحمايتك تتجهون إلى حيثما



تريدون، لا شأن لنا بكم، هذه أوامر السيد الرئيس القائد، حفظه الله ورعاه.

أومأ صالح برأسه موافقاً وقد تملكه الرعب، همس ببضع كلمات لزوجته، ترجلت تغريد من المركبة هي وولديها، مشت بجانب أخيها، ركبت الطائرة السمتية يتبعها ولداها، حلقت الطائرة بعيداً، غابت في ظلمة السماء.

لاحظ صالح أن ذوي البزات السود يتحدثون مع أفراد حمايته في المركبتين الأخريين، وبعد لحظات قليلة، استأذن سائق صالح، ليتحقق من الأمر، لكنه لم يعد. أدرك صالح أنه بقي وحيداً في الميدان، وأن أمراً ما دبر في ليلة حالكة. قرر أن يجلس خلف المقود، وينطلق بمركبته؛ لعله ينفذ بجلده من هذا الموقف.

انتقل بسرعة خاطفة إلى كرسي السائق، عشّق عتلة التبديل، ضغط على دواسة الوقود، انطلق بأقصى سرعة، نظر في المرآة الوسطى، لاحظ أن ذوي البزات السود ماكثون في أماكنهم لا يتحركون، تنفس الصعداء، نظر مرة أخرى في المرآة، قلق من جمودهم، شاهد أحدهم يطلق خرطوشة تنوير، زاد من سرعة المركبة على الطريق الدولي، شقت ظلمة الطريق صرخة مدوية، صوت منبهات تزعق من بعيد، أضواء تتلاطم في مدى الرؤية، إنهما مركبتا نقل كبيرتان، تسدان الطريق أمامه، بمسافة قريبة؛ لا تسمح له إلا أن... يعانق الموت.

(40)

تنهد وسمان بعمق، أسند مرفقيه على فخذيه، أحنى ظهره، نظر في عمق البلاطة تحت قدميه، توغلت نظرته عميقاً، بدت له الصورة قاتمة. استرعى انتباهه صوت المعلق في نشرة الأخبار، وهو يقرأ تقريراً حول



الاستعدادات الأمريكية لغزو العراق.

ألقى بمتحكم التلفاز على الأريكة التي بجانبه، تناول هاتفه الجوال، بحث في قائمة الأسماء، توقف عند اسم (أمير أبو شامة)، نقر على الزر الأخضر، أتاه الرد سريعاً:

- عيناي.

اقتضب وسمان كلامه بلا تحية:

- أريد أن أراك.

- سأكون عندك في غضون نصف ساعة.

أغلق وسمان الخط، قرر أن يستغل الوقت بتتبع الأخبار على القنوات الأخر. تشابهت الأخبار في كل قناة، الضربة ستقصم ظهر العراق هذه المرة، علق أحد المراسلين في قناة عربية «آن للعراقيين أن يتنسموا عبير الحرية، بعد سنوات رزحوا فيها تحت نير الطغيان».

طُرق الباب، نهض وسمان بتثاقل، فتحه لأمير أبو شامة، كانت ابتسامته أكبر مما تجب، قابله وسمان بتنهيدة، عبّر عن قلقه:

- أ وفي جعبتك حل يبرر الابتسام؟

- ما الذي يثير قلقك؟ الأمور تسير في صالحك.

جلس وسمان على الأريكة، أشار لأمير أن يجلس بجانبه، استوضح:

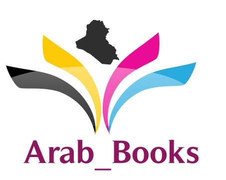
- ما المصلحة في ذلك؟

- المستقبل يفتح ذراعيه لك، يمكنك أن تبدأ مشوارك السياسي إن شئت.

- أين ومتى؟

- في إقليم كردستان، اليوم قبل الغد.

فتل وسمان جذعه صوب أمير، نظر في عينيه، أراد أن يستدرك صدق العبارة:



- هل أنت جاد فيما تقوله؟

- كل الجد، العملية السياسية بدأت بالنمو، وعليك أن تبذر بذورك في الأرض الصالحة، ونظام الحكم سيتغير، بحسب المعلومات الموثقة، سوف ينهار كل شيء في العراق، ولن يطال كردستان أي ضرر.

سرح وسمان في الماضي، تذكر أباه، وعشرة مقاتلين كرد دافعوا عن أرضهم فقتلهم أبوه، تذكر خلخال أمه، الذي اشتراه أبوه بمكافأة القتل، والصائغ الذي نهبه الخلخال بثمن بخس، تذكر خمسة آلاف دينار قبضها هدية ثانية عن جريمة أبيه، والعرافة التي لم يدفع لها نصيبها؛ فلعنته لعنتها الأبدية... أغمض عينيه، قطّب جبينه، نظر صوب أمير وتساءل:

- هل سأجد محط قدم في كردستان، لدي مشكلة عريقة مع القوم.

- أنت مليونير، سوف تفتح لك الأبواب أينما حللت، وستذلل أمامك كل الصعاب، وتحل المشكلات.

أضاف أمير، وهو يتجه صوب المطبخ بحثاً عن شراب:

- يمكنني أن أرتب لك الأمور، لدي علاقات متينة ببعض المسؤولين هناك.

- ابدأ الترتيب منذ الآن.

قالها وسمان وهو يتناول متحكم التلفاز، رد أمير الذي عاد يحمل قنينة ويسكي وقدحين:

- سأجند لك طابوراً كاملاً، لتثبت قدمك بثقة.

قدم أمير كأساً لوسمان، قرع الكأس بكأسه وهو يقول:

- نخب المرحلة الجديدة يا دكتور وسمان.

دلق كل منهما ما احتواه كأسه، في جوفه.



(41)

كان وصول وسمان إلى أربيل محفوفاً بالاضطراب، ولو لا المغلف الذهبي الذي يحوي على العفو الرئاسي الخاص، لتعذر عليه دخول الأراضي العراقية. المجازفة كانت مقلقة خلال عبور نقطة التفتيش الفاصلة ما بين (نينوى) و(أربيل). ازداد قلق وسمان حين لمح وهو يطأ الأراضي الخاضعة لحكومة إقليم كردستان، مصفحة يرفرف فوقها علم الإقليم، يجلس في قمتها جندي مدرع، يحتضن مدفعاً رشاشاً، يوجهه صوب نقطة التفتيش. انزاح عنه القلق حين سمع اسمه يتردد من جهة المدرعة، لاح له رجل خمسيني، طويل ذو شاربين مفتولين ووجه أعفر، يرتدي بزة كردية بنية، لوح له مرحباً بطيبة:

- أهلاً وسهلاً بك (كاكه وسمان)، نوّرت المدينة.

عانقه وسمان، وجد فيه الملاذ الآمن، قال له وهما متعانقان:

- شكراً جزيلاً سيد (سردار)، أشكر الله لأنك هنا... كيف سارت الأمور؟

- كل شيء تم على أكمل وجه... ما طلبته مني نفذته بدقة.

ربت وسمان على كتف سردار، ابتسم له حين قال:

- لا يزال أمامنا الكثير من العمل، نحن في بداية الجولات، يجب أن نلعبها بحنكة يا كاكه وسمان.

ضحك وسمان بتكلف، قال وهو يمشي ببطء محاذياً لسردار:

- (كاكه وسمان)... لها وقع جميل في أذني.

- واجهت بسبب اسمك بعض الصعوبات خلال تنظيم الأعمال، كانوا يلفظونه خطأً «عوسمان» وهو اللفظ الكردي لاسم (عثمان).

ابتسم وسمان، قال بمرح:



- (عثمان)؟! هذا فأل حسن.

استقلا مركبة (جيب)، كانت بانتظارهما، يقودها سائق مسلح بمسدس، ويجلس في مقعدها الأمامي حارس شخصي لسردار، يحمل بندقية ومسدس.

سأل وسمان بتهكم:

- هل أعلنتم الحرب؟

- إنها حالة تأهب قصوى في الإقليم، نتوقع ردة فعل عنيفة من صدام حسين، بعد الهجوم المتوقع عليه من قبل الأمريكان، هم سيتوغلون من خلال أراضي الإقليم للسيطرة على نقاط إستراتيجية، سوف يطبقون عليه من جهتنا ومن جهة الجنوب، ولن يبقى أمامه منفذ سوى المنطقة الغربية، فإيران في الشرق وهي عدوه اللدود.

- ولم لا يسد المنفذ الغربي عليه؟

ضحك سردار باختيال حتى اهتز كتفاه، قال مزهواً بمعلوماته:

-(في المعركة لا بد أن تترك لخصمك منفذاً يفر منه، وإلا فجّر طاقاته الكامنة، والتي قد تلحق بك الأذى كأقل احتمال. اسمح له بالهرب، وإن اضطررت فدله على المخرج.

التفت إلى وسمان، خاطبه بابتسامة عميقة:

- المسألة أشبه بحبس قط في غرفة، إن لم تفتح له الباب؛ فسوف ينقض عليك بمخالبه.)

تنهد وسمان، هز رأسه موافقاً، قال له سردار:

- سترتاح بعض الوقت في جناحك بالفندق، ينتظرك مؤتمر تأسيسي في قاعة الفندق عند السادسة مساءً، تهيأ لذلك جيداً.



(42)

في الجناح الذي هُيئ له خصيصاً في فندق (قناديل)، جلس وسمان مرهقاً على حافة السرير، نظر في أرجاء الغرفة الدافئة، أدخل عامل الخدمة حقيبة السفر، وقف ينتظر تعليمات (الضيف المليونير) كما أوصاه مدير الفندق، قال بعربية ركيكة:

- هل تأمرني بشيء يا سيدي؟

مد وسمان يده ببضعة دولارات، وهبها لعامل الخدمة، سأله:

- هل ينفع أن أدفع لك بالدولار؟

تلعثم الخادم:

- هذا كرم وفضل منك يا سيدي.

تناول الدولارات، دلسها في جيبه وهو يهمس لوسمان:

- إن أمرتني بأي شيء، فلن أتأخر عليك في تنفيذه.

غمز إحدى عينيه، وهو يؤكد بحركة مريبة:

- أي شيء.

لم ينس ما همس به سردار في أذنه، حين حطت قدماه صالة الفندق:

- أنت مراقب من الجميع، والناس هنا ميالون إلى التحفظ والاحتشام.

حينها طمأن وسمان وكيل أعماله سردار، وهو يخفي ألماً يحز روحه:

- لا تقلق بشأن رغبتي في النساء، أنا لا أطيقهن.

تنهد وسمان، وقد فهم مغزى الخادم، قال له وهو يحدق في عينيه:

- أحتاج إلى شيء واحد، أن أنام بعمق حتى الخامسة، لا أريد أن يطرق عليّ الباب قبل ذلك.

- أنت تأمرني يا سيدي، سأوفر لك الهدوء التام، وسأطرق عليك الباب عند الخامسة تماماً.



(43)

ضجت القاعة بالحضور، لم يتوقع وسمان أن يجد هذا الحشد بانتظاره، تمايل سردار بزهو وهو ينظر إليه، أشار إليه بيده ليقبل نحو المنصة البسيطة التي تصدرت القاعة، كانت ثم لاقطة صوت واحدة، وكاميرة تصوير واحدة، يصور بها شخص لا تبدو عليه سمات الاحتراف.

وقف وسمان ببزته الرمادية، وقميصه الأبيض، وربطة عنقه الصفراء، رص على عقدة ربطة العنق، ووقف سردار بجانبه، ليترجم ما يقوله إلى اللغة الكردية. رحب وسمان بالمحتشدين بين يديه، شكرهم على تجشمهم عناء الحضور، عرف نفسه بصفة (رجل أعمال) يرغب بتأسيس قاعدة اقتصادية سياسية. بعد إسهابٍ شرح خلاله الوضع السياسي الراهن في المنطقة عموماً، رفع وسمان كفه إزاء وجهه، عارضاً راحة يده أمام الحضور، معلناً لهم:

- باسم الله، باسم الشعب، باسم السلام، أعلن أمامكم عن ولادة (حزب النجاة الوطني)، والذي سأسعى من خلاله إلى ترسيخ مفاهيم الديمقراطية وحقوق الإنسان، وباب الحزب مفتوح على مصراعيه، لكل من يبحث عن حرية الرأي والتعبير، والعيش بسلام وكرامة، وسوف أضع يدي بيد حكومة الإقليم لإنجاح حركتها الاقتصادية، حيث سأقيم على أرض هذه المدينة التاريخية العريقة أولى مدينة اقتصادية تتكون من خمسة آلاف وحدة سكنية توزع على منتسبي الحزب، ستكون هذه المدينة شاهدة حضارية تحتوي على كل مستلزمات الحياة.

صفق الحضور بحماس، أنزل وسمان كفه، هدأ التصفيق قال بنبرة هادئة:

- سأكبر من خلال تواضعي لكم، سأكون خادمكم لكي أرتقي



بخدمتكم، معتمداً في منهجي قول سيدي المسيح عليه السلام؛ «من أراد أن يكون عظيماً فيكم، فليكن لكم خادماً. ومن أراد أن يكون الأول فيكم، فليكن لكم عبداً». من هنا، أنا خادمكم المطيع يا سادتي.

ارتجت القاعة بالتصفيق، أومأ وسمان برأسه احتراماً، انبرى شاب من بين الحضور واقفاً، استأذن بالحديث، قال له وسمان:

- تفضل يا سيدي، قل ما لديك.

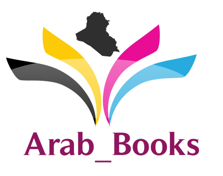
تردد الشاب، قبل أن يقول ما ترجمه سردار لوسمان:

- أعلم أن الإنسان لا يحمل وزر الآخرين، لكنني أريد أن أعرف موقفك من الجريمة التي ارتكبها أحد أقاربك، حين قتل مجموعة من المقاتلين الكرد، وهم يدافعون عن حياض كردستان.

أغمض وسمان عينيه مبدياً تألمه، ارتفعت همهمة بين الحضور، تنحنح وسمان، قبل أن يرفع كفه إزاء وجهه، عارضاً راحة يده أمام الحضور، أعلن لهم:

- أعلن أمامكم، وأشهد الله، أنني بريء من فعل أبي الشنيع، حين قتل عشرة من المناضلين الكرد، الذين دافعوا باستبسال عن أرض أجدادهم وأبنائهم. أنا بريء من هذا الفعل الذي حدث قبل خمس وعشرين سنة، إلى يوم القيامة، وبريء ممن يؤيده. لكنني برغم تبرئي منه، سأدفع دية الرجال العشرة الذين قتلوا من مالي الخاص، ولأنني لا أعرفهم شخصياً، ولا يمكن الجزم بهويتهم، سأدفع المال لصالح مؤسسة الشهداء في الإقليم.

تعالى التصفيق، تردد هتاف غير مفهوم، رفع وسمان يديه محيياً الجميع، مستأذناً بالانصراف.



(44)

بدا الانبهار واضحاً على وجه سردار، وهو يقول:

- بلغ عدد المنتمين إلى الحزب خمسة آلاف شخص، خلال أسبوعين، إنه رقم قياسي يا أستاذ وسمان، أربعة وسائل إعلامية طلبت إجراء مقابلات معك، وقد وعدتهم بأن أتصل بهم، بعد أن أرتب المواعيد معك. رجال الأمن اتصلوا بي عدة مرات، من جهات رسمية وغير رسمية، وقد أكرمتهم جميعاً كما أمرتني؛ برغم موقفنا السليم.

نفث وسمان دخان سيجارته الكوبية، صوب الثرية البلورية الكبيرة، المتدلية من السقف العالي، حدق في الأضواء الصفر التي تلألأت كحلقات من ذهب، تناثرت عشوائياً في أرجاء صالة استقبال الفندق.

قال باسترخاء، دون أن يحيد بنظره عن حلقات الذهب:

- يمكننا الآن أن ننظم أعمالنا وفق القانون.

نظر إلى سردار، قال بحزم وهو يستقيم في جلسته:

- عليك أن تكمل الإجراءات قبل دخول القوات الأمريكية إلى الإقليم، لنستقبلهم حين يدخلون ككيان سياسي.

- لا تقلق بهذا الشأن، فقد رتبت الأمور لأستلم الأمر الإداري غداً، سوف تتوجب علينا صناعة حملة إعلامية قوية للتعريف بالحزب.

ابتسم وسمان، ارتشف بقية القهوة من الفنجان الموضوع بجانب صحيفة أمامه، منذ وقت طويل، قال بثقة:

- أنا لا أعتد بالإعلام، بقدر اعتدادي بطابوري الخامس. ما هي إلا مسألة وقت، وتكون لنا كلمتنا في القرار المتخذ.

فرك سردار راحتي يديه، طفقت شرارات الشهوة من عينيه المنبلجتين، قال بنبرة غريبة، وهو يجلس على حافة الأريكة:



- لا أعلم ما الذي تخطط له، لكنني على يقين أن صنارتك ستغمز قريباً.

- وسأصيد أكثر واكبر من حوت يا سردار، سوف أطعمك فوق ما تستطيع.

ضحك سردار بهستيرية، كث شارباه كقنفذٍ تأهب لنزاع، أراد أن يثبت ولاءه بابتذال، وهو يشير إلى رجلي وسمان:

- أنا من رجلك هذه إلى رجلك هذه.

ضحك وسمان ضحكة مجلجلة، تراقصت معها حلقات الذهب المتناثرة من الثرية.

(45)

تصفح وسمان العدد الجديد من صحيفة (نداء الأمة)، التي يرأس تحريرها، وتصدر في بغداد باللغة العربية وفي أربيل باللغة الكردية. برزت في الصفحة الأولى عناوين مثيرة، تناولت اعتقال الرئيس من قبل القوات الأمريكية، بعرض تفصيلي، نقلت الصحيفة أفكار وآراء المؤيدين للرئيس المخلوع، تبنى وسمان نشر هذه الأفكار، وأغدق على أصحابها.

دخل سردار مكتب رئيس التحرير، طفح القلق على وجهه وهو يهمس:

- بضع مركبات (همر) أمريكية، تقف عند باب المؤسسة.

- ولم أنت قلق، دعهم يدخلون دون اعتراضٍ غبي.

- لقد دخلوا بالفعل، يستأذن آمر الدورية بالدخول عليك.

فز وسمان، استدار على عجل من وراء مكتبه، زجر سردار:

- ليدخل على الفور، أ تنتظر الإذن مني؟!



دخل آمر الدورية مدججاً بأسلحته، قال بنبرة آمرة:

- سيد وسمان، أنا العريف (روجر)، معي أمر باصطحابك؛ لمقابلة العقيد (مايلز) في القاعدة، تفضل أرجوك.

- اصطحاب؟!

- نعم، مقابلة لمدة ساعة وسأعود بك بعدها إلى هنا، تفضل أرجوك.

- ألا تتناول القهوة أو الشاي؟

- سوف نتأخر عن الموعد.

توغلت مركبة الـ(هَمر) في طريق نيسمي ممهد، داخل القاعدة الأميركية، توقفت عند نقطة تفتيش، أقبل جندي التفتيش ذو البشرة الحمراء المحترقة نحو المركبة، سأل قائدها عمن معه، رد السائق بلكنة لا تكاد تميز:

- السيد وسمان رئيس (حزب النجاة الوطني)، رئيس تحرير صحيفة (نداء الأمة)، لديه موعد مع العقيد مايلز.

نادى جندي التفتيش في جهاز لاسلكي مثبتة حلقته بعروة الرتبة على كتفه، استفهم عبر النداء من الموعد المزعوم، تأكد له الموعد بعبارة مقتضبة، قلب عتلة الأشواك الحديدية ليسمح للمركبة بالمرور.

مرت المركبة بهدوء، ترامت عن يمينها وعن شمالها قاعات وغرف منتظمة التوزيع، ثَّم خيام متفرقات في المساحة الشاسعة من القاعدة العسكرية. توقفت المركبة أمام مبنى كبير نسبياً، ترجّل السائق بعد أن همس للمترجم الجالس بجانبه ببضع كلمات، قال المترجم لوسمان وهو يشير إلى المبنى:

- تفضل معي يا سيدي، العقيد مايلز هنا بانتظارك.

دخل وسمان المبنى، أومأ له الحارس ليتجه صوب غرفة كبيرة، كانت الغرفة خالية تماماً، إلا من منضدة بلاستيكية بنية مستديرة في وسطها، تحيطها ثلاثة مقاعد بلاستيكية بذات لون المنضدة، تناثرت على المنضدة



صحف متنوعة، من بينها صحيفته؛ نداء الأمة. تدلى مصباح أبيض ساطع فوق المنضدة، جلس وسمان على المقعد المواجه للباب، حيث أشار إليه المترجم، لاحظ وجود كاميرة مراقبة مسلطة على المنضدة. مرت ثوانٍ معدودات قبل أن ينفتح الباب عن ضابط ذي قامة رشيقة، ورأس حليق، وملامح آسيوية، قال وهو يمد يده أثناء مسيره باتجاه المنضدة:

- أهلاً سيد وسمان، أنا العقيد مايلز، معاون قائد الفرقة.

نهض وسمان، صافحه بحرارة، امتثل لإيماءة العقيد مايلز:

- تفضل بالجلوس أرجوك.

جلس المترجم على المقعد الثالث، دخل العقيد مايلز في صلب الموضوع، قال بلا مقدمة:

- سيد وسمان، لقد أثرت فضولي وانزعاجي في آن واحد، من خلال ما نشرته في صحيفتك (نداء الأمة). لقد قرأت التقارير والمقالات التي تناولت قضية اعتقال الرئيس المخلوع صدام، أريد منك تفسيراً للرأي الذي تتبناه، لأن ما طرحته وجد صداه وسط الناس، فسر لي الأمر رجاءً.

تلملم وسمان في جلسته، قال بهدوء مبالغ فيه:

- أنا أمارس الديمقراطية، من خلال تبني نظرية معينة، والتعبير عنها بحرية منضبطة، أنا أراعي القانون في كل ما أنشره في صحيفتي، وأهدف من وراء كل هذا إلى تأسيس قاعدة جماهيرية.

- هل تعتقد أن الرجل الذي ألقينا القبض عليه قبل أسابيع، ويخضع للمحاكمة العراقية اليوم، هو ليس صدام؟

- وفق نظريتي التي أتبناها، هو أحد أشباهه، ونظريتي صائبة تحتمل الخطأ.



نظر مايلز بعمق في عيني وسمان، قال ببرود حاد:

- أريد بعض البراهين التي تستند إليها نظريتك.

- أريدك أن تمنحني مساحة من الحرية والأمان إذن.

- لك كل الحرية ومطلق الأمان.

سرد وسمان:

- بدأت بديهيات نظريتي مع انطلاق عملية (الفجر الأحمر)، العملية العسكرية التي تم فيها القبض على صدام، في الحفرة التي كان يختبئ فيها في شتاء 2003. أظهرته الصورة أشعث الشعر، غير مرتب، وبعد سحبه من الحفرة، بدا المكان قذراً. كانت هناك علبة فارغة للحم رخيص العلامة، وصندوق يحوي مئات الآلاف من الدولارات!

تنهد مايلز، أنصت إلى وسمان الذي استأذن بتدخين سيجارة كوبية، قدم واحدة للعقيد، قلبها بين يديه، ثم دسها في جيبه:

- قصة خيالية غير محبكة، لم تراعِ منهج الدراما العراقية! تبعتها اقتباسات نشرت عن جندي بحرية أمريكي، اسمه (رابح)، ذي أصول لبنانية، ذكر أثناء مقابلة له أنه كان من بين المقاتلين المكونين لفريق الفجر الأحمر، الذين بحثوا عن صدام مدة ثلاثة أيام، ووجدوه في بيت بسيط في قرية صغيرة، أسروه بعد مقاومة عنيفة، قتل خلالها أحد أفراد مشاة البحرية من أصل سوداني. روى رابح كيف أن صدام أطلق النار عليهم من بندقية عبر نافذة غرفة تقع في الطابق الثاني، بعدها صرخ جنود البحرية عليه باللغة العربية، «يجب أن تستسلم.. ليست هنالك فائدة من المقاومة».

- لكن رواية جندي البحرية الذي تزعمه، تختلط مع إدلاء صدام لمحاميه، إذ أخبره بأنه أسر في بيت صديق وخدّر وعذب لمدة يومين، ما تعليقك؟



نفث وسمان دخان سيجارته إلى أعلى، صوب الضياء الأبيض الساطع، استطرد كأنه لم يسمع طرح مايلز:

- الجميع أخذ الصور التي وزعت من قبل الجيش الأمريكي، الجميع كتب الكلمات التي أمليت بطريقة ببغاوية. وليست هذه هي المرة الأولى، شئ من هذا القبيل قد حصل سابقاً.

- هل لديك مثالاً؟

هز وسمان رأسه مؤكداً:

- بعد غزو واحتلال بنما في العام 1989، سمحت الولايات المتحدة للصحافة دخول مكتب (مانويل نورييجا)، لقد وصف الرجل وكأنه منحرف جنسياً. كانت في المكتب صوراً لأولاد صغار، ملابس داخلية حمر ومجلات إباحية. بعد بضعة أشهر، سرح من الخدمة العسكرية جندي بحرية، قال إنه أول من دخل مكتب الرئيس البنمي، بعد أن اختطفته الولايات المتحدة، وكل ما كان داخل المكتب منضدة، هاتف، كرسي وآلة كاتبة.

ابتسم مايلز، قال بإعجاب:

- يبدو أنك متابع جيد، وذو ذاكرة متقدة دكتور وسمان؟

استرسل وسمان بابتسامة:

- دعنا نغور في الماضي أكثر، ستة عشر عاماً قبل زوال نورييجا. في العام 1973، اغتيل الرئيس التشيلي (سلفادور الليندي)، وعندما سُمح للصحافة بدخول مكتبه، شاهدوا زوجاً من الملابس الداخلية الحمر، صوراً لأولاد صغار ومجلات إباحية.

قهقه وسمان قبل أن يتم:

- وكالة المخابرات المركزية لم تمتلك الحشمة لتغيير الدعائم، استعملوا نفس الدعائم السينمائية في الحادثين، معتقدين أن ست عشرة سنة



وقتا طويلاً، وليس هناك أحد سيكتشف ويفهم الحيلة. بيد أن أحد المراسلين الذين غطوا حدث العام 1973، كان موجوداً في بنما خلال العام 1989، وحدث أن رأى كلا السيناريوهين المصطنعين الملفقين.

سأل مايلز بتغابٍ جلي:

– ما علاقة كل هذا بصدام؟

– مع صدام، تغيرت الدعائم السينمائية، عندما أسر، في عملية الفجر الأحمر، ظهرت بعض الإشارات غير المنطقية، ألا تؤمن بالمنطق يا سيد مايلز؟

تنهد مايلز، قال بجزع:

– هات ما عندك يا دكتور؟

– ملابس صدام كانت ناصعة البياض نظيفة جداً، تعطي انطباعاً على أنه لم يكن في حفرة. ثم أنه أسر في الشتاء، لكن الأشجار التي ظهرت في الفيلم كانت أشجار نخيل تحمل رطباً طرياً، وهذا غير محتمل في الشتاء. كما أن السجق المجفف يعلق عادةً في الصيف، وأنتم قبضتم عليه – وفق روايتكم – في عز الشتاء.

رتب وسمان حواف الصحف المتناثرة على المنضدة، قال وهو يمعن في الصحف:

– أعرف صدام عن كثب، إنه رجل مهووس بالأمن في أيام السلم، فكيف يمكن أن يكون في أيام الحرب؟ أ تريد مثلاً أفند به قولي؟

– نعم.

نظر إلى مايلز وهو لا يزال يرتب حواف الصحف بهدوء، ضرب مثله:

– شكا لي تاجر كبير من تجار العراق، أن ابن صدام أراد مشاركته في تجارته، وكان الرجل لا يرغب بتلك المشاركة. أردت مساعدة الرجل



واستغلال الموقف لكسب مادي كبير عرضه عليّ التاجر، علمت من سلام، وهو أحد مرافقي الرئيس؛ أن صدام سيكون بعد يومين في دار استراحته في (الرضوانية)، رتبت بطريقة مُحكمة مقابلة للتاجر مع صدام بحضوري. حين أنصت صدام إلى التاجر، اقتنع بوجهة نظره، ووعد بأنه سيمنع ابنه من المشاركة. فرح التاجر، وسألني صدام عمن أخبرني أنه في الرضوانية اليوم، قلت له علمت ذلك من مرافقكم سلام. نادى صدام على سلام، الذي كنت قد دفعت له ثمن المعلومة، وقف صدام قبالته، ومن مسدسه الخاص أطلق رصاصة اخترقت قلب سلام.

صمت وسمان، وضع يديه على كومة الصحف، قرّب وجهه من مايلز، همس:

- هل تتصور رجلاً بهذا الهوس الأمني، يتمدد في حفرة داخل مزرعة، بانتظار دورية تفتش عنه مدة ثلاثة أيام؟

قال مايلز بهدوء:

- أين هو إذاً؟

- هذا الجزء من نظريتي، لم أطرحه بعد.

- أنت رجل ذكي يا دكتور وسمان، سأوصي في تقريري إلى الحاكم المدني، أن يتم ضمك إلى مجلس الوزراء الذي سيجري انتخابه، أنت رجل مناسب، وسنجد لك المكان المناسب.

(46)

رن الهاتف النقال المسند على قاعدة عاجية، تشكلت على هيئة كفين مرفوعين للدعاء. تردد صدى رنينه في المكتب الفخم، أسرع نحو الهاتف موظفٌ شاب مفتول العضلات، نظر في شاشة الهاتف، فزع مما



قرأه، هرع نحو وسمان الذي كان يرد على اتصال بهاتف آخر، أشار له وهو يعرض الشاشة أمامه:

- معالي رئيس الوزراء.

تلقف وسمان الهاتف، رد برصانة:

- نعم معاليك.

- مرحباً دكتور وسمان، ما هذا الذي بلغني منك؟

- سيدي إن الموضوع في غاية السرية، المعلومة التي تسربت إلي دقيقة جداً، لا بد أن ألتقي بك عاجلاً لبحث الأمر.

- أنا بانتظارك الآن.

(47)

جلس الوزراء وبعض المسؤولين في قاعة الضيافة، في مكتب رئيس الوزراء، تهامسوا بقلق واضطراب، خرج عليهم رئيس الوزراء يتبعه نائبه وسمان، حياهم رئيس الوزراء باقتضاب، قال بعد أن ردوا عليه التحية:

- وردتني معلومات رسمية دقيقة، عبر نائبي لشؤون الأمن الدكتور وسمان المفتي، أن القوات الأمريكية تريد التخلي عن ملف الطاغية المخلوع، وتسليمه إلى القوات الأمنية العراقية، تلافياً لجدل قانوني في أمريكا، التي اعتبرته أسير حرب. وهذا يعني وضعنا في فوهة المدفع كما تعلمون. تفيد المعلومات باحتمالية تدبير عملية تهريب الطاغية، خلال نقله إلى السجن العراقي. ولأجل إنقاذ الموقف أمضيت على أمر إعدامه، وسينفذ الحكم الليلة.

تساءل أحد الوزراء بقلق:

- فجر يوم عيد الأضحى؟



رد رئيس الوزراء بحزم:

- عيد الأضحى يبدأ بعد الفجر، والإعدام سينفذ قبله. وقد كلفت السيد النائب وسمان، ليترأس لجنة الاستلام يرافقه كعضوين وزير الأمن الوطني ووزير الداخلية، وستذهب اللجنة الآن للشروع بمهمتها.

(48)

دخل وسمان السجن المحصن بالخرسانة المسلحة، قال له الحارس الذي رافقه:

- إن سمك الخرسانة مترين من كل الجهات، وهي مدعمة ببطانة كهربائية قادرة على تعطيل أية معدات كهربائية يمكن أن تستعمل في النقب.

ابتسم وسمان وهو يقول للحارس:

- هذا يضاهي سد (إسكندر)، الذي حجب به يأجوج ومأجوج.

ضحك الحارس، أشار لوسمان:

- من هنا يا سيدي.

أمام باب غرفة الحبس، جلس حارس على مقعد خلف مكتب، أمامه جهاز حاسوب مرتبط بكاميرات مراقبة، تحدث معه الحارس الأول، نهض ليفتح الباب المؤدي إلى غرفة الحبس، طلب وسمان من الوزيرين أن لا يدخلا معه، قال الحارس وهو يدير المفتاح في أكرة الباب:

- أبلغته بأنه سيعدم بعد ساعات، قال لي إنه مستعد للرحلة، طلب طبقاً من الرز والدجاج المسلوق، وكوباً من العسل بالماء الساخن، وهو الشراب الذي اعتاد على تناوله... غريب هذا الرجل!

صر الباب وهو يتهادى بتثاقل، وقف وسمان أمام فرجة الباب، شاهد



الرئيس المخلوع في مظهر لم يتوقعه، كان بكامل هندامه، يتناول وجبته الأخيرة بهدوء تام، لم يرفع رأسه عن المائدة، أكل بضع لقم، مسح فمه بمنديل أبيض، تناول كوب العسل بالماء الساخن، جرعه دفعة واحدة، نظر في وجه وسمان، قال له وهو يبتسم:

- حماتك لا تحبك.

ضحك ضحكة متقطعة، أردف:

- يقول إخوتنا المصريون لمن يحضر بداية وجبة الطعام «حماتك تحبك»، لكنك حضرت في النهاية.

استرسل بضحكته المتقطعة، نظر في وجه وسمان الذي سأله:

- هل تعرفني؟

ركز النظر، قطب حاجبه مستذكراً، هز رأسه نافياً، رد بذكاء:

- الذاكرة لا تسعفني، لكنك من الخونة الذين دخلوا مع الدبابات الأمريكية على ما يبدو.

رد وسمان بهدوء:

- لقد سبقت الدبابات ببضعة أسابيع، لذا يمكنك أن تعيد النظر في تهمة خيانتي.

اقترب منه وهمس:

- أنا الدكتور وسمان المفتي، الرجل الذي ساعدك في ملف صالح العواد.

قطب الرئيس المخلوع جبينه، هز رأسه موافقاً، تساءل:

- منذ متى وأنا أعرفك؟

- منذ السابع من شباط 1979.

ابتسم الرئيس المخلوع، هز رأسه موافقاً:

- أهلاً وسهلاً.

مد وسمان يده للمصافحة، صافحه الرئيس المخلوع، لم يصفق يدَهُ



بيدِ وسمان على الطريقة الريفية، لم يشد الرئيس على أصابع وسمان بقوة؛ ليلامس فص الخاتم، لم تلمع عيناه، سأله وسمان:

- ما الذي تتمناه؟

ابتسم الرئيس المخلوع ابتسامة كبيرة، تذكر وسمان صورةٌ كبيرةٌ لنائب رئيس الجمهورية يبتسم ابتسامة كبيرة، حملت عنوان (الرفيق المناضل)، تتوسط حائطاً أصفرَ في مقهى صغير، رواده هائمون فوق سحابةٍ من الملل.

تراخت يد الرئيس المخلوع، فترت ابتسامته، قال بحرقة:

- أمنيتي عسيرة على أمثالك.

- يمكنك كمحكوم عليه بالإعدام، أن تتمنى أمنية أخيرةً؛ وفق القانون.

- القانون... أكبر خدعة اخترعناها، نخطه بأيدينا، ثم نؤمن به إيماناً مطلقاً؛ كأنه منزلٌ من الله! وحين يتعارض مع مصالحنا؛ نضع عليه تعديلاً، أو نلغيه إن تطلب الأمر... ثم نؤمن بالتعديل والإلغاء من جديد!

- قل لي ماذا تتمنى، وسأنظر في إمكانية تحقيق أمنيتك.

- أحتاج جولة في الكرادة.

تنهد وسمان قبل أن يجزم:

- في مثل حالتك، يستحيل هذا.

ابتسم الرئيس المخلوع، هز رأسه موافقاً، علق:

- إذن، عِدني بأن تقوم بالجولة نيابةً عني.

- أعدك بذلك.

أشار وسمان إلى الباب، تساءل:

- هل أنت مستعد للرحلة؟

نهض الرئيس المخلوع، عدل هندامه، أكّد:

- أنا على أهبة الاستعداد.



(49)

عند منصة الإعدام، لم يَبدُ على الرئيس المخلوع الخوف أو التوتر، لم يقاوم أو يتصدى للرجال الملثمين الذين اقتادوه إلى حبل المشنقة. حين هتفوا بالشتائم واللعن، رد عليهم بهدوء:

- أهذه هي الرجولة؟

كان متماسكاً، مشى في قاعة بارتفاع خمسة أمتار، وقف أمام منصة بارتفاع ثلاثة أمتار، يداه مقيدتان خلف ظهره، يحمل مصحفاً بيديه، لم يقاوم الرجال المقنعين المضطربين المحيطين به. نظر في زوايا الغرفة، بحث عن ذكريات قديمة.

تقدم باتجاه المشنقة، وقف على المنصة بهدوء، أحاط به الحراس، طلبوا منه أن يغطي رأسه بكيس أسود؛ فرفض، لف أحد الحراس الكيس الأسود على رقبتهِ، ثم لف حبل الإعدام، شد الأنشوطة على جانب وجهه الأيسر، ردد الرئيس بثبات:

- أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.

طقطقت البوابة الحديدية تحت أقدامهِ، سقط في حفرة الإعدام.

صاح أحد الملثمين:

- اللهم صل على محمد وعلى آل محمد.

صرخ ملثم آخر:

- سقط الطاغية، لعنة الله عليه.

قال وسمان بهدوء، وهو يحدث نفسه:

- مات الظل، وظل الأصل.



(50)

طافت مركبة سوداء مصفحة مهيبة في الكرادة، لا يبين من زجاجها المعتّم شيئاً، يستقلها نائب رئيس الوزراء الدكتور وسمان مموهاً، تتبعه سيارتان مدنيتان تقلان أفراداً من الحماية السرية، لاحظ وسمان الناس يتجولون باضطراب، عادت به الذاكرة عشرات السنين، قال له مرافقه:

- الوضع غير آمن يا سيدي، أقترح أن نعود، الإخباريات تؤكد وجود انتحاريين موزعين في بغداد.

- ليس قبل أن أفي بوعدي للرجل... إنها جولة فحسب.

ركض شاب يرتدي دشداشة وسط الشارع، توجه نحو مركبة وسمان مسرعاً، صاح المرافق:

- انبطح سيدي.

أقبل الشاب نحو المركبة، فتح ذراعيه ليلتقيها بالأحضان. كبح السائق المركبة، جمدت إطاراتها فاحتكت بالأرض، تصاعدت رائحة احتراق الإطارات في أرجاء المكان، توقف كل شيء... سقط الشاب على ظهره بعد أن صدمته المركبة المرسيدس السوداء، نزل منها حارسان شخصيان، انشغل الحراس السريون بتفريق الناس الذين تجمهروا فضولاً في مكان الحادث. تراكض الحارسان الشخصيان نحو الشاب، بدا بالغ النحافة، رفعاه عن الأرض بسهولة، أمسكه أحدهما من عضديه بشدة، فتّشه الآخر بدقة، متحسساً كل بقعةٍ من جسده، حتى ما بين فخذيه، ركض الحارس صوب المركبة، قال لوسمان:

- إنه نظيفٌ يا سيدي... يبدو أنه متشرد.

- لا والله... أنا ابن عشائر، لست متشرداً.

بلهجة قروية صاح الشاب، الذي بقي مقيّداً، عاجزاً عن الحراك.



انفتح باب المركبة الأمامي الأيمن بهدوء، حطت على الأرض قدمٌ تحتذي حذاءً كحلياً برّاقاً، تلتها القدم الأخرى، اعتلت إطار الباب كفٌّ يسرى كبيرة، تمسك بقوة بين سبابتها ووسطاها بسيجارة فاخرة، يتصاعد دخانها بزهو. بان وسمان من وراء الباب بطلّته التي تبث الرهبة. وجهه الحنطي، شارباه الأشقران المنمقان بعناية فائقة يتوجان تكشيرة مهيبة، نظرته الثاقبة، شعره الأشقر المنساب خلف صلعته الكبيرة. ارتبك الشاب غاية الارتباك، وهو يتجه صوب وسمان الذي أومأ إليه بأطراف يمناه، سأله بثقة:

- من أين أنت؟

- من قرى البصرة.

مز وسمان نفساً من دخان سيجارته، نفثه إلى أعلى قبل أن يستطرد:

- ما اسمك؟

- ناموس.

رصّه الحارس الذي كان يقيده، همس في أذنه:

- قل (سيدي) حين تتحدث.

صاح الشاب من فوره:

- اسمي ناموس يا سيدي.

تمعّن به وسمان، تذكر صبياً كان بذات هيئته، بذات فقره وعوزه، بذات الانهيار، كهذا الذي يقف أمامه.

نظر وسمان إلى حارسه الذي يقف أمامه، قال له:

- فتش جيوبه:

فتشها الحارس بدقة، وجد ورقة في جيبه، ناولها لوسمان. كانت شطراً من دينار، بلونٍ أخضرَ مزرقٍ، وزخارفٍ منمّقةٍ معقدةٍ، دُوّن عليه تأريخ الليلة الماضية السابع من شباط العام 2007، بخطٍ جميلٍ، وحبرٍ أخضرَ.



أخرج وسمان محفظة نقوده، فتح جيباً سرياً فيها، أخرج منها شطر دينار احتفظ به ثمانية وعشرين عاماً. قارن بين أرقام التسلسل في الشطرين، كانت الأرقام متماثلة (51243). قدحت عيناه في وجه الشاب، ألقى السيجارة بين قدميه، كاد ينفجر حين سأله بانفعال:

- من أين لك هذه؟

ارتجف الشاب وهو يُقسِم:

- والله يا سيدي، تركها لي رجل عجوز، كان يرتدي هنداماً أبيض، يضع نظارة ذهبية الإطار، جلس بجانبي في القطار.

تنهد وسمان، هز رأسه موافقاً، نظر إلى حارسه، قال له بهدوء:

- هل ترضى أن يحكم شخص كهذا أبناءك، في المستقبل؟

ضحك الحارس بسخرية، قال:

- كهذا؟! مستحيل.

أخرج وسمان سيجارة فاخرة من جيب سترته الداخلي، فل عنها غلافها الحافظ، قطم ذؤابتها بأسنانه، بصق الذؤابة في الأرض، قدح الحارس النار من القداحة الذهبية ليلهب طرف السيجارة. قال وسمان، وهو يمز أنفاس السيجارة بشهقات سريعات:

- إذاً عليك أن تصفي الموقف.

هز الحارس رأسه موافقاً، أشار لزميله بأن يقيدا الشاب، ويضعانه في صندوق المركبة. قيداه بسهولة، وضعاه في الصندوق، وقبل أن يغلقا الصندوق، انطلقت رصاصة مسدس مكتومة الصوت.

انطلقت المركبة مسرعة، أضاء وسمان مصباحها الداخلي، قارب شطري الدينار، التحما لأول مرة، أخرج قلمه الأحمر، خطّ خطاً تحت رقم التسلسل (51243)، كتب حروف اسمه (وسمان) تحت الأرقام، فوضع حرف (الواو) تحت الرقم (1)، وحرف (السين) تحت الرقم



(2)، وحرف (الميم) تحت الرقم (3)، وحرف (الألف) تحت الرقم (4)، وحرف (النون) تحت الرقم (5). قرأ الكلمة وفق الترتيب الجديد، بهت مما ظهر أمامه.

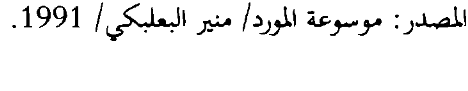
في تلك الأثناء، كان خرير دم ينساب من صندوق المركبة، ليرسم خطاً أحمر، يمتد كذيل طويل، خلف المركبة التي ولجت رئاسة وزراء جمهورية العراق.

(للحكاية بقية).

أربيل/ 2015/7/17

ملاحظة:

سفاستيكا/ سواستيكا/ Swastika؛ شكل شبيه بصليب معقوفة أذرعه، بحيث تؤلف زوايا قائمة. اعتُبر منذ القدم رمزاً للازدهار والحظ السعيد، ورمزاً للشمس وللنار أيضاً. وقد عرفه أبناء ما بين النهرين (العراق) وهنود أميركا الحمر، وعرفه الهندوس في الهند، ولا يزالون إلى اليوم يضعونه في عتباتهم وأبوابهم، ويرسمونه في الصفحات الأُوَل من دفاتر حساباتهم. وبسبب من الاعتقاد بأن السواستيكا رمز آريّ، فقد جُعل في النمسا وألمانيا علامة على اللاسامية، وقد حمل هذا الترابط بين السواستيكا واللاسامية زعيم ألمانيا (أدولف هتلر)؛ على اتخاذه شعاراً للحزب النازي، وللرايخ الألماني الثالث. والكلمة سنسكريتية الأصل، معناها «مُفْضٍ إلى الرفاهة».


المصدر: موسوعة المورد/ منير البعلبكي/ 1991.





Tele: @Arab_Books

رواية «سفاستيكا» للكاتب علي غدير فازت بجائزة بغداد للرواية العراقية للعام 2016، لما توفرت عليه من مهارة في السرد وقدرة على توظيف الوقائع ومعالجتها فنيا بشكل ينم عن وعي وجهد واضح في ترميز الأحداث المعروفة والشخصيات المألوفة في حياة وتاريخ العراق، كما أن الرواية تمضي إلى هدف وفكرة واضحة استثمرها الكاتب بشكل جيد وهي توظيف الايديولوجيات السياسية الدولية والأقليمية الملتبسة في صناعة الأشخاص كقادة وتوفير الجو المناسب والمسار الخاص لذلك.

اللجنة التنظيمية العليا

لجائزة بغداد للرواية العراقية

ISBN 978-0-00-000078-1
99339
9 780000 000781

Sillat Media Design

جائزة بغداد للرواية
العراقية 2016



